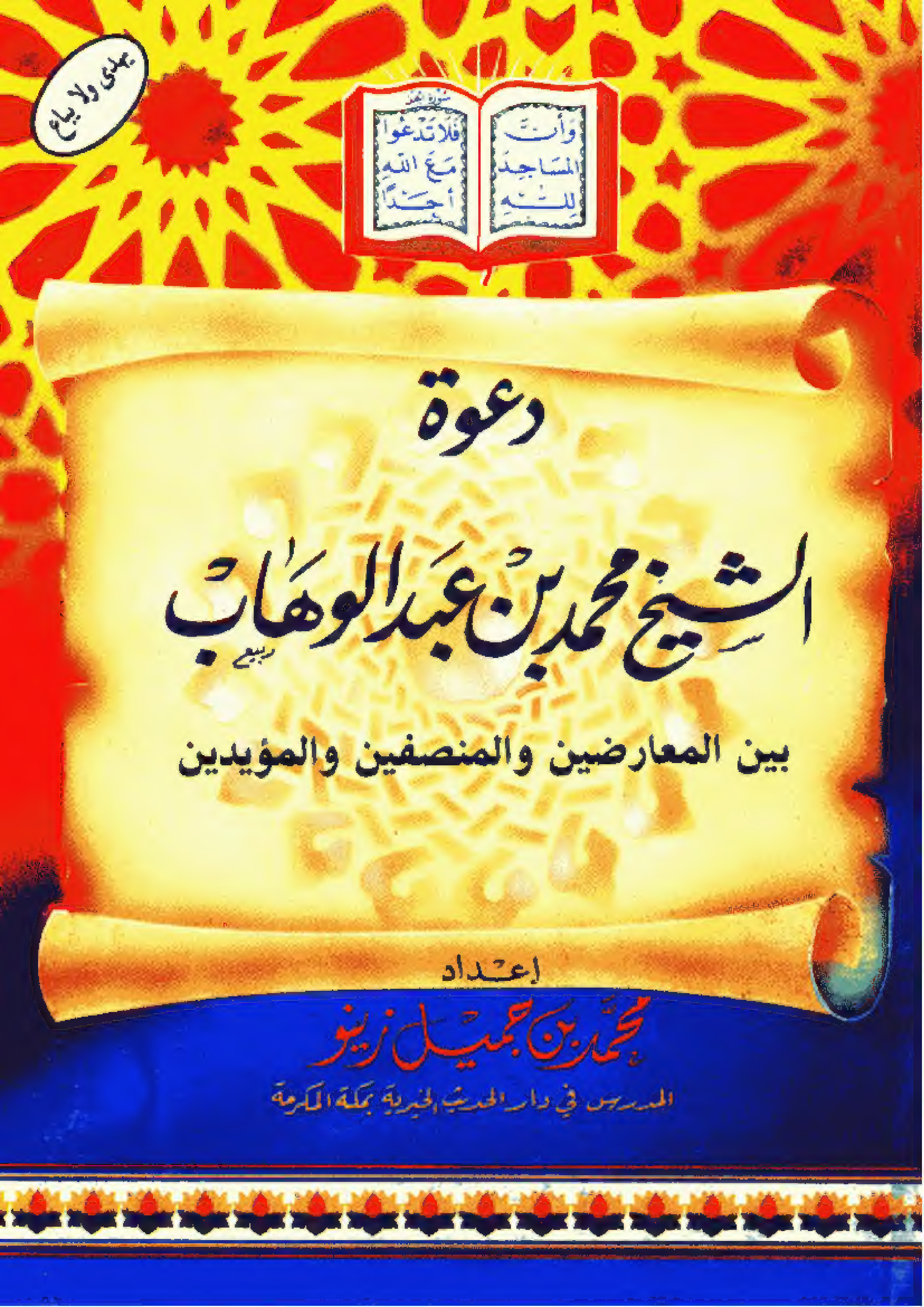

يهدى ولا يباع
سورة الجن
وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً
دعوة
الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
بين المعارضين والمنصفين والمؤيدين
إعداد
محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
ما معنى وهابي ؟	٤
محمد بن عبد الوهاب	٧
معركة التوحيد والشرك	١١
مناقشة مع الشيخ الصوفي	١٤
موقف المشايخ من التوحيد	١٨
التعقيب على كتاب الخطيب	٢٤
الدعوة المحمدية	٢٦
الخلاف بين الصحابة	٢٨
أسماء الله توقيفية	٢٩
هل يكفي توحيد الربوبية ؟	٣٠
التناقض في كتاب الخطيب	٣٢
الدعوة لا تكفر المسلمين	٣٦
التثبُّتُ واجب	٣٨
هَدم معالم الشرك	٤٠
الدين يُنكر البِدع	٤٣
الاستعانة الجائزة	٤٧
رد الاتهام بالتكفير	٤٩

الموضوع	الصفحة
الدعوة لا تقوم على العنف	٥١
الرد على أبي زهرة	٥٥
الافتراء على الدعــوة	٥٧
من فضــائل الدعــوة	٦٢
اتهامــات مــردودة	٦٥
الجهــل بالوثنيــة	٦٩
مناقشة حـول الوهـابية	٧٢
معتقــد الســلفية	٧٤
ردود عــلى أباطيــل	٧٨
الجذور الفكرية والعقائدية	٨٠
الانتشار ومواقع النفوذ	٨٠
مؤلفات الشيخ / محمد بن عبدالوهاب	٨١
محمد بن عبدالوهاب في مرآة علماء الشرق والغرب	٨٢
أقوال المستشرقين	٩١
عقيــدة المســلم	٩٣
محتويات الكتاب	٩٥

دعـــــوة

الشيخ محمد بن عبدالوهاب

بين المعارضين والمؤيدين المنصفين

إعــداد

محمد بن جميل زينو

المدرس في دار الحديث الخيرية

الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِل له ، ومن يُضلل فلا هاديَ له ؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد فإن الناس اختلفوا في مفهوم هذه الدعوة :

١ ـ يرى البعض أنها مذهب خامس خارج على المذاهب الأربعة !

٢ ـ وفريق آخر يرى أنهم لا يُحبون الرسول ﷺ والأولياء .

٣ ـ ويرى آخرون أن الوهابيين متشددون يكفرون المسلمين .

٤ ـ وذهب كثير من العلماء إلىٰ أن هـذه الدعوة سلفية ترجع إلى الكتاب والسنة في عقيدتها وجميع أمورها ، وتنكر البدع في الدين .

وسأُبيِّن في هذه الرسالة الصحيح مِن الأقوال بالدليل والبرهان وأقوال العلماء المنصفين ، وأن المسلم العاقل إذا أراد أن يعرف حقيقتها وجب عليه الرجوع إلى كتبها لا إلى أقوال أعدائها ليكون عادلاً في حكمه ، عملاً بقول الله تعالى :

﴿ ولا يَجرِمَنَّكُم شنآنُ قوم على ألّا تعدلوا اِعدلوا هو أقربُ للتقوى ﴾

وقوله ﷺ : **«كفى بالمرء كَذِباً أن يُحدِّث بكُل ما سَمِع»** .

«رواه مسلم في مقدمته»

والله أسأل أن ينفع بها المسلمين ويجعلها خالصة لوجهه الكريم .

ما معنى وهابي ؟

اعتاد الناس أن يُطلقوا كلمة وهابي على كل من يخالف عاداتهم ومعتقداتهم وبدعهم ، ولو كانت هذه المعتقدات فاسدة ، تخالف القرآن الكريم ، والأحاديث الصحيحة ؛ ولا سيما الدعوة إلى التوحيد ودعاء الله وحده دون سواه .

كنت أقرأ على شيخٍ حديث ابن عباس في الأربعين النووية ، وهو قوله ﷺ : «**إذا سألتَ فاسألِ الله ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله**» .

«رواه الترمذي وقال حسن صحيح»

فأعجبني شرح النووي حين قال :

«ثم إن كانت الحاجة التي يسألها ، لم تجر العادة بجريانها على أيدي خلقه ، كطلب الهداية والعلم . . وشفاء المرض وحصول العافية سأل ربه ذلك ، وأما سؤال الخلق والاعتماد عليهم فمذموم» .

فقلت للشيخ هذا الحديث وشرحه يفيد عدم جواز الاستعانة بغير الله ، فقال لي : بل تجوز !! قلت وما دليلك ؟ فغضب الشيخ وصاح قائلاً : إن عَمتي تقول يا شيخ سعد (وهو مدفون في مسجده تستعين به) ، فأقول لها:يا عمتي وهل ينفعك الشيخ سعد ؟ فتقول : أدعوه فيتدخل على الله فيشفيني !!

قلت له : إنك رجل عالم قضيت عمرك في قراءة الكتب ، ثُم تأخذ عقيدتك من عمتك الجاهلة ! فقال لي عندك أفكار وهابية أنت تذهب للعمرة وتأتي بكتب وهابية !!!

وكنت لا أعرف شيئاً عن الوهابية إلا ما أسمعه من المشايخ : فيقولون عنهم : الوهابيون مخالفون للناس لا يؤمنون بالأولياء وكراماتهم ، ولا يحبون الرسول ، وغيرها من الاتهامات الكاذبة ! فقلت في نفسي إذا كانت الوهابية تؤمن بالاستعانة بالله وحده ، وأن الشافي هو الله وحده ، فيجب أن أتعرف عليها .

سألت عن جماعتها فقالوا لهم مكان يجتمعون فيه مساء الخميس ، لإلقاء دروس في التفسير والحديث والفقه ، فذهبت إليهم مع أولادي وبعض الشباب المثقّف ، فدخلنا غرفة كبيرة ، وجلسنا ننتظر الدرس ، وبعد فترة دخل علينا شيخ كبير السن ، فسلَّم علينا وصافحنا جميعاً مبتدئاً بيمينه ، ثم جلس على مقعد ، ولم يقم له أحد ، فقلت في نفسي : هذا شيخ متواضع لا يحب القيام .

بدأ الشيخ الدرس بقوله : إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره . إلى آخر الخطبة التي كان الرسول ﷺ يفتتح بها خطبه ودروسه ، ويتكلم باللغة العربية الفصحى ، ويورد الأحاديث ، ويبين صحتها وراويها ، ويصلي على النبي ﷺ كلما ذكر اسمه ؛ وأخيراً وُجّهت له الأسئلة المكتوبة على الأوراق ، فكان يجيب عليها بالدليل من القرآن

والسنة ، ويناقشه بعض الحاضرين فلا يرد سائلاً ، وقد قال في آخر درسه : الحمد لله على أننا مسلمون وسلفيون ، وبعض الناس : يقولون:إننا وهابيون ، فهذا تنابز بالألقاب ، وقد نهانا الله عن هذا بقوله : ﴿ **ولا تنابزوا بالألقاب** ﴾ . «سورة الحجرات»

وقديماً اتهموا الإمام الشافعي بالرَّفض فردَّ عليهم قائلاً :

إنْ كان رَفضاً حُبُّ آلِ محمدٍ فليشهد الثقلانِ أني رافضي

ونحن نردُّ على مَن يتهمنا بالوهابية بقول أحد الشعراء :

إنْ كان تابعُ أحمدٍ مُتوهّباً فأنا المقِرُّ بأنني وهَّابي

ولما انتهى خرجنا مع بعض الشباب معجبين بعلمه وتواضعه وسمعت أحدهم يقول : هذا هو الشيخ الحقيقي !!!



محمد بن عبدالوهاب

ولد في بلدة (العُيَيْنة) في نجد سنة ١١١٥هـ حفظ القرآن قبل بلوغه العاشرة ، وتعلم على والده الفقه الحنبلي ، وقرأ الحديث والتفسير على شيوخ من مختلف البلاد ، ولا سيما في المدينة المنورة وفهم التوحيد من الكتاب والسنة، وراعه ما رأى في بلده (نجد) والبلاد التي زارها من الشرك والخرافات والبدع ، وتقديس القبور التي تتنافى مع الإسلام الصحيح ؛ فقد سمع النساء في بلده يتوسلن إلى فحل النخل ويَقُلْنَ (يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول) ! ورأى في الحجاز مِن تقديس قبور الصحابة ، وأهل البيت والرسول ما لا يسوغ إلا لله ، فقد سمع في المدينة استغاثات بالرسول ودعاءه من دون الله ، مما يخالف القرآن وكلام الرسول ﷺ ، قال تعالى :

﴿ ولا تدعُ مِن دونِ الله ما لا يَنفعُك ولا يَضرُّك ، فإنْ فعلت فإنك إذاً مِن الظالمين ﴾ . [أي المشركين] «سورة يونس»

والرسول ﷺ يقول لابن عمه عبدالله بن عباس :

«إذا سألتَ فاسألِ الله ، وإذا استعنتَ فاستعِن بالله» .

«رواه الترمذي وقال حسن صحيح»

قام الشيخ يدعو قومه للتوحيد ودعاء الله وحده ، لأنه هو القادر والخالق ، وغيره عاجز عن دفع الضر عن نفسه وغيره ، وأن محبة الصالحين تكون باتباعهم لا باتخاذهم وسائط بينهم وبين الله ،

ودعائهم مِن دون الله !!

١ ـ وقوف المبطلين ضده : وقف المبتدعون ضد دعوة التوحيد التي تبناها الشيخ ، ولا غرابة فقد وقف أعداء التوحيد في زمن الرسول وقالوا مستغربين :

﴿أجعلَ الآلهة إلهاً واحداً ، إنّ هذا لشَيءٌ عُجاب﴾. «سورة ص»

وبدأ أعداء الشيخ يحاربونه ، ويشيعون عنه الأكاذيب ، ويتآمرون على قتله ، والخلاص من دعوته ؛ ولكن الله حفظه ، وهيأ له من يساعده حتى انتشرت دعوة التوحيد في الحجاز والبلاد الإسلامية ، وما زال بعض الناس إلى يومنا هذا يشيعون الأكاذيب ، يقولون إنه ابتدع مذهباً خامساً ، مع أن مذهبهُ حنبلي ؛ ويقولون : الوهابيون لا يحبون الرسول ، ولا يُصَلون عليه ! مع أن الشيخ رحمه الله له كتاب (مختصر سيرة الرسول ﷺ) وهذا دليل على حبه للرسول ﷺ ، وقد افتروا عليه الأكاذيب التي سيحاسبون عليها يوم القيامة ؛ ولو درسوا كتبه بإنصاف لوجدوا فيها القرآن والحديث وأقوال الصحابة ؛ حدثني رجل صادق : أن أحد العلماء كان يحذر في دروسه من الوهابية ، فأعطاه أحد الحاضرين كتاباً بعد أن نزع اسم المؤلف محمد بن عبدالوهاب ، فقرأه وأعجبه ولما علم بمؤلفه بدأ يمدحه .

٢ ـ وَرَدَ في الحديث : قول الرسول ﷺ :

«اللهم بارك لنا في شامنا ، وفي يمَنِنا ، قالوا وفي نَجْدِنا ، قال : مِن هنا يَطلع قَرْنُ الشيطان» . «رواه البخاري»

يظن بعض الناس أن النجد الوارد في الحديث هو نجد الحجاز وهذا خطأ ، لأن النجد الوارد في الحديث هو نجد العراق للأدلة الآتية :

أ ـ عن سالم بن عبدالله بن عمر قال :

يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة ، وأركبكم الكبيرة سمعت أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إن الفتنة تجيء مِن ها هنا ، وأومأ بيده نحوَ المشرق ، مِن حيثُ يطلع قرن الشيطان» . «رواه مسلم»

ب ـ وقال الخطابي : نجد من جهة المشرق ، ومن كان في المدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة .

وأصل النجد : ما ارتفع من الأرض ، وهو خلاف الغور ، فإنه ما انخفض منها ، وتهامة كلها من الغور ، ومكة من تهامة .

«انظر فتح الباري جـ٣/٤٦-٤٧»

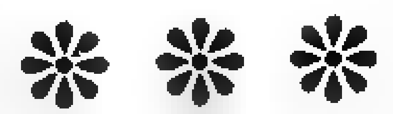
أقول : إن الحديث الذي في مسلم يشرح كلمة (نجد) الواردة في صحيح البخاري ، والمراد منها العراق .

وكذلك قول الخطابي يؤيد هذا القول ، وأورد هذا ابن حجر ،

فدل على تأييده على أن المراد هو نجد العراق ، وليس نجد الحجاز .

أقول : لقد ظهرت الفتن في العراق حيث قتل الحسين بن علي رضي الله عنه ، خلافاً لما يظنه بعض الناس أن المراد نجد الحجاز حيث لم يظهر فيها شيء من الفتن التي ظهرت في العراق ، بل ظهر من نجد الحجاز التوحيد الذي خلق الله العالم لأجله ، والذي من أجله أرسل الله الرسل .

٣ ـ ذكر بعض العلماء المنصفين أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو من مجددي القرن الثاني عشر الهجري ، وقد ألفوا كتباً عنه ، ومن هؤلاء المؤلفين الشيخ علي الطنطاوي أخرج سلسلة عن أعلام التاريخ ، ذكر منهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وأحمد بن عرفان ، ذكر فيه أن عقيدة التوحيد وصلت إلى الهند وغيرها بواسطة الحجاج المسلمين الذين تأثروا بها في مكة ؛ فقام الإنكليز وأعداء الإسلام يحاربونها ، لأنها تُوَحد المسلمين ضدهم ، وأوعزوا إلى المرتزقة أن يُشوهوا سُمعتها ، فأطلقوا على كل موحد يدعو للتوحيد كلمة (وهابي) ، وأرادوا به المبتدع ، لِيصرفوا المسلمين عن عقيدة التوحيد التي تدعو إلى دعاء الله وحده .



معركة التوحيد والشرك

١ ـ إن معركة التوحيد مع الشرك قديمة منذ زمن الرسول نوح عليه السلام حينما دعا قومه إلى عبادة الله وحده ، وترك عبادة الأصنام ، وبقي فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وهو يدعوهم إلى التوحيد ، فكان ردهم كما ذكر القرآن :

﴿ وقالوا لاتَذَرُنَّ آلهتكم ، ولا تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُوَاعاً ولا يَغوثَ ويَعوقَ ونَسْرَاً ، وقد أضَلُّوا كثيراً ﴾ . «سورة نوح»

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية قال : هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح ، فلما هلك أولئك أوحى الشيطان إلى قومهم ، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً ، وسموهم بأسمائهم ففعلوا ولم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونُسيَ العِلمُ عُبِدَتْ :

(أي الأحجار والأنصاب التي هي التماثيل) .

٢ ـ ثم جاء الرسل من بعد نوح يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده ، وترك ما يعبدون من دونه من الآلهة التي لا تستحق العبادة ، فاسمع إلى القرآن وهو يحدثك عنهم فيقول :

﴿ وإلى عادٍ أخاهم هُوداً قال يا قوم اعبُدوا الله مالكم مِن إله غَيرُه أفلا تتقون ﴾ . «سورة الأعراف»

﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني بَراءٌ مما تَعبُدون إلا الذي

فطرَني فإنه سيهدين ﴾ . «سورة الزخرف»

وكـان رَدُّ المشركـين على جميع الأنبياء بالمعارضة والاستنكار لما جاءوا به ، ومحاربتهم بكل ما يستطيعون من قوة .

٣ ـ وهذا رسول الله ﷺ وهو الذي كان معروفاً عند العرب قبل البعثة بالصادق الأمين ، لما دعاهم إلى عبادة الله وتوحيده ، وترك ما كان يعبد آباؤهم نسوا صدقه وأمانته ، وقالوا : **(ساحِرٌ كذَّاب)** وهذا القرآن يحكي رَدهم فيقول :

﴿ وعَجِبـوا أن جاءَهم مُنذِرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحِرٌ كذَّاب ، أجعلَ الآلهة إلٰهاً واحداً إن هذا لَشيءٌ عُجاب ﴾ .

«سورة ص»

﴿ كذلك ما أتى الذين مِن قبلهم مِن رَسُول ٍ إلا قالوا ساحِرٌ أو مجنون ، أتواصَوْا به ؟ بل هُم قومٌ طاغون ﴾ . «سورة الذاريات»

هذا موقف الـرسـل جميعـاً من الدعوة إلى التوحيد ، وهذا هو موقف أقوامهم المكذبين المفترين .

٤ ـ وفي عصرنـا الحـاضر حينـما يدعو المسلم إخوانه إلى الأخلاق والصدق والأمانة لا تجد معارضاً له ، فإذا قام يدعو إلى التوحيد الذي دعت إليه الرسل وهو دعاء الله وحده ، وعدم سؤال من سواه مِن الأنبياء والأولياء الـذين هم عبـاد الله قام النـاس يعـارضـونـه ويتهمـونـه بتهم كاذبة ، ويقولون عنه (وهابي) !

ليصـدوا الناس عن دعوته ، وإذا جاءهم بآية فيها توحيد قال قائلهم : (هذه آية وهابية) !!

وإذا جاءهم بحديث : « .. **وإذا استعنت فاستعن بالله**» .

قال بعضهم : (هذا حديث وهابي) !

وإذا وضع المصلي يديه على صدره ، أو حرَّك أصبعه في التشهد ، كما فعل الرسول ﷺ ، قال الناس عنه وهابي !!

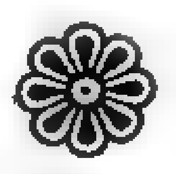
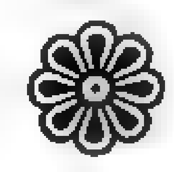
فأصبح الوهابي رمزاً للموحد الذي يدعو ربه وحده ، ويتبع سنة نبيه ، والوهابي منسوب للوهَّاب ، وهو اسم من أسماء الله الذي وهب له التوحيد .

٥ ـ على دعاة التوحيد أن يصبروا ، ويتأسوا برسول الله ﷺ الذي قال له ربه :

﴿واصبِرْ على ما يقولون ، واهجُرْهم هَجراً جميلاً﴾ «سورة المزمل»

﴿فاصبِرِ لحكم رَبك ولا تُطِع مِنهم آثِماً أو كفوراً﴾ «سورة الإنسان»

٦ ـ على المسلمين أن يقبلوا دعـوة التـوحيد ، ويحبوا دعاته ، لأن التـوحيد دعـوة الرسل عامة ، ودعوة رسولنا محمد ﷺ ، فمن أحب الرسول ﷺ أحب دعوة التوحيد ، ومن أبغض التوحيد فقد أبغض الرسول ﷺ .

مناقشة مع الشيخ الصوفي

١ ـ لما علم الشيخ الذي كنت أدرس عليه أنني ذهبت إلى السلفيين واستمعت إلى الشيخ محمد ناصرالدين الألباني غضب غضباً شديداً لأنه يخشى أن أتركه وأتحول عنه ، وبعد فترة من الزمن جاءنا شخص من جيران المسجد ليحضر الدرس معنا في المسجد بعد المغرب ، وبدأ يقص علينا أنه سمع من درس أحد المشايخ الصوفية يقول : إن تلميذاً له تعسَّر على زوجته المخاض والولادة ، فاستغاث بشيخ صغير (ويقصد نفسه) فولدت ، وذهب العُسر عنها ؛ فقال له الشيخ الذي ندرس عليه : وماذا فيها ؟ فقال له : هذا شرك ، فقال له الشيخ : اسكت أنت لا تعرف الشرك أنت رجل حداد ، ونحن المشايخ عندنا علم ، ونعرف أكثر منك ، ثم نهض الشيخ إلى غرفته ، وجاء بكتاب الأذكار للنووي وبدأ يقرأ قصة ابن عمر أنه كان إذا خدِرَت رِجلُه قال : يا محمد !! فهل أشرك ؟ فقال له الرجل : هذا ضعيف (أي غير صحيح) فصاح الشيخ به غاضباً : أنت لا تعرف الصحيح من الضعيف ، ونحن العلماء نعرف ذلك ، ثم التفت إليَّ وقال لي : إذا حضر هذا الرجل مرة أُخرى سأقتله ! وخرجنا من المسجد ، وطلب الرجل مني أن أرسل ولدي معه ليأتي بكتاب (الأذكار) بتحقيق الشيخ عبدالقادر الأرناؤوط ، فجاء به

وأعطاني إياه ، وإذ بالقصة يقول عنها المحقق (ضعيفة) وفي اليوم الثاني أعطاه ولدي الكتاب فوجد أن القصة غير صحيحة ، فلم يعترف بخطئه وقال : هذه من فضائل الأعمال يؤخذ فيها بالحديث الضعيف !!

أقول : إن هذه ليست من فضائل الأعمال كما يزعم الشيخ ، بل هي من العقيدة التي لا يجوز الأخذ فيها بالحديث الضعيف ، علماً بأن الإمام مسلم وغيره يرون عدم الأخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال .

والقائلون من المتأخرين بجواز الأخذ بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال بشروط عديدة قَلّ أن تتوفر ، وهذه القصة ليست حديثاً ، وليست من فضائل الأعمال بل هي من أساس العقيدة كما أسلفت ، وفي اليوم الثاني جئنا إلى الدرس ، وبعد تسليم الشيخ من الصلاة ، خرج من المسجد ، ولم يجلس كعادته إلى الدرس .

٢ ـ حاول الشيخ أن يقنعني بأن الاستعانة بغير الله جائزة كالتوسل ، فبدأ يعطيني بعض الكتب ، ومنها كتاب : «محق التقول في مسألة التوسل» لمؤلفه «زاهد الكوثري» فقرأت فيه ، فإذ به يُجيز الاستعانة بغير الله ، ويأتي إلى حديث :

«إذا سألتَ فاسألِ الله ، وإذا استعنتَ فاستعِنْ بالله» .

فقال عنه الكوثري : طرقه واهية (أي ضعيف) لذلك لم يأخذ به علماً بأن الحديث ذكره الإمام النووي في كتابه الأربعين النووية ، ورقمه التاسع عشر ، وقد روى الحديث الإمام الترمذي وقال عنه حسن صحيح واعتمده النووي وغيره من العلماء ، فعجبتُ مِن الكوثري كيف رَدَّ الحديث ، لأنه خالف عقيدته ، فازددتُ بغضاً فيه وفي عقيدته ، وازددتُ حباً في محبة السلفيين وعقيدتهم التي تمنع الاستعانة بغير الله للحديث المتقدم ولقول الله تعالى :

﴿ ولا تدعُ مِن دون الله ما لا ينفعُك ولا يضُرك ، فإن فعلتَ فإنك إذاً مِنَ الظالمين ﴾ . [أي المشركين] . «سورة يونس ١٠٦»

وقوله ﷺ **«الدعاء هو العبادة»** . «رواه الترمذي قال حسن صحيح»

٣ ـ وعندما رآني شيخي لم أقتنع بالكتب التي أعطاها لي ، هجرني وأشاع عني (وهابي احذروه) فقلت في نفسي لقد قالوا عن سيدنا محمد ﷺ : (ساحر أو مجنون) وقالوا عن الإمام الشافعي : رافضي فرد عليهم قائلاً :

إن كان رَفضاً حُب آل محمدٍ ... فليشهدِ الثقلانِ أني رافضي

واتهموا أحد الموحدين بالتوهب فرد عليهم قائلاً :

إن كان تابعُ أحمدٍ متوَهباً ... فأنا المقِرُّ بأنني وهَابي

أنفي الشريك عن الإلـهِ فليسَ ... لي رَبٌ سِوى المتفرِّدِ الوهاب

لا قبةٌ تُرجى ، ولا وثَنٌ ولا ... قبرٌ له سبَب مِن الأسباب

وإنني أحمد الله الذي هداني للتوحيد وعقيدة السلف الصالح ، ويـدأت أدعو إلى التوحيد وأنشره بين الناس أُسوة بسيد البشر الذي بدأ دعوته في مكة بالتوحيد ثلاثة عشر عاماً ، وتحمل مع أصحـابه الأذى فصبر ، حتى انتشر التوحيد ، وتأسسَت دولة التوحيد بفضل الله تعالى .



موقف المشايخ من التوحيد

١ ـ أصدرت نشرة مكونة من أربع صفحات عنوانها :

(لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، إياك نعبد وإياك نستعين ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله) .

وشرحت معناها ، واستشهدت بقول النووي في شرح الحديث ، وقول غيره من العلماء الداعين إلى التوحيد ، ولئلا يقول المشايخ عن النشرة : إنها وهابية ذكرت قول الشيخ عبدالقادر الجيلاني في كتابه : «الفتح الرباني» :

«سَلوا الله ، ولا تسألوا غيره ، إستعينوا بالله ولا تستعينوا بغيره ، ويحك بأي وجهٍ تلقاه غداً ، وأنت تنازعه في الدنيا ، مُعرض عنه ، مُقبل على خلقه مُشرك به ، تُنزل حوائجك بهم ، وتتكِلُ بالمهمات عليهم ! ارفعوا الوسائط بينكم وبين الله ، فإن وقوفكم معها هَوَس ، لا ملك ولا سلطان ، ولا غنىً ، ولا عز إلا للحق عز وجل ، كُن مع الحق ، بلا خلق» .

(أي كن مع الحق بدعائه بلا واسطة من خلقه) .

هذه خلاصة النشرة المكونة من أربع صفحات صغيرة ، وقد سمحت بطبعها وزارة الإعلام ، وطبعت منها ثلاثين ألف نسخة ، وقد وزع ولدي منها نسخاً قليلة ، وسمع أحد المشايخ يقول : هذه نشرة وهابية ، ووصَلتْ إلى شيخ كبير في البلد ،

فأنكرها ، وطلب مقابلتي فذهبت إلى بيته وكان هذا الشيخ قد درس معي في مدرسة الخسروية بحلب ، وهي الآن الثانوية الشرعية ، ولما قرعت الجرس خرجت بنت فقلت لها : «محمد زينو» ، فدخلت ثم رجعت ، فقالت لي : سيأتي للمدرسة بعد قليل » فانتظره هناك ، فجلست عند دكان الحلاق المجاور لبيته حتى خرج ، فلحقته ، وقلت له : ماذا تريد مني ؟ فقال لي : لا أريد هذه النشرة ! قلت له لماذا ؟ فقال : لا نريدها ، فقلت له وقد وصلنا إلى باب المدرسة : سأدخل معك إلى المدرسة ، وأقرأ الرسالة ، فقال لا يوجد عندي وقت ! قلت له طبعتُ منها ثلاثين ألف نسخة ، وكلَّفتنا مالاً وجُهداً ، فماذا نفعل بها ، هل نحرقها ؟ فقال لي نعم احرقها !! قلت في نفسي سأذهب إلى الشيخ محمد السلقيني أستاذي في الفقه الحنفي ، فذهبت إليه ، وقلت له عندي رسالة صغيرة فقال لي أحد المشايخ : اِحرقها ، فقال لي اِقرأها عليَّ ، فقرأتها عليه ، فقال لي : هذه الرسالة فيها القرآن كلام الله ، وفيها أحاديث رسول الله ﷺ كيف تحرِقها ؟ فقلت له : جزاك الله خيراً ، سوف أوزعها ، ولن أحرِقها ، وبعد فترة وزعتها ، ووجدَت قبولاً عند الشباب المثقف ، حتى إنني وجدت مَن طبعها ووزعها في مكتبة الوتار بالمسكية في مدينة دمشق ، فحمدت الله على أن هيأ لهذه الرسالة مَن يطبعها

ويوزعها مجاناً ليعم نفعها ، وتذكرت قول الله عز وجل :

﴿ يُريـدون أن يُطفِئوا نورَ الله بأفواهِهم ويأبىٰ الله إلا أن يُتِمَ نورَه ، ولـو كره الكـافرون . هو الذي أرسل رسوله بالهُدى ودينِ الحقِ ليُظهِرَه على الدين كُلِه ، ولو كَرهَ المشركون ﴾ .

«سورة التوبة ٣١، ٣٢»

ثم طبعت هذه الرسالة في كتابي (منهاج الفرقة الناجية) فالذي يريد الاطـلاع عليهـا يقرأ الكتاب المذكور ، فسيجدها بنفس العناوين المذكورة آنفاً .

٢ ـ أهـدى إليّ أحد المشايخ كتاباً في قصة ثعلبة المشهورة ولما أراد تجديد طبع الكتاب نصحته أن يرجع إلى أقوال العلماء ، ولا سيما في كتاب الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر ، وقد نبه هو وغيره على عدم صحتها ، فلم يقبل النصيحة ، وقال لي : أنت نشيط اتـرُكْ هذه المسـائـل ! قلت إذا تركتها فسوف أدعو إلى التوحيد الذي علمه الرسول ﷺ : لابن عمه عبدالله بن عباس وهو غلام ، فقال له الرسول ﷺ :

«**يا غلام إني أعلمك كلمات . . . إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله . . .**» إلى آخـر الحـديث الـذي ذكـره النووي وقال عنه الترمذي : (حسن صحيح) فقال لي :

نحن نسأل غير الله !!!

رَد الحديث بكل وقاحة وسوء أدب مخالفاً قول الله تعالى :

﴿ ولا تدعُ مِن دون الله ما لا ينفعُك ولا يضرُّكَ ، فإن فعلتَ فإنكَ إذاً مِنَ الظالمين ﴾ . [أي المشركين] . «سورة يونس ١٠٦»

ثم مضت سنوات قليلة وإذا بهذا الشيخ الذي يسأل غير الله يُقتَل ولده ، ويوضع ولداه في السجن ، ويترك داره ويهاجر إلى بلد آخر ، فلا يلوي على شيء ، وقدَّر الله أن ألتقي بهذا الشيخ في الحرم المكي الشريف ، والأمل على أنه عاد إلى رشده ، ورجع إلى الله يسأله الستر والحماية والنصرَ فسلمت عليه ، وقلت له : إن شاء الله سنعود إلى بلادنا ، ويُفرِّج الله عنا ، فيجب علينا أن نتوجه إلى الله ونسأله العون والتأييد ، فهو القادر وحده ، فما رأيك ؟ فقال لي المسألة فيها خلاف ! قلت له وأي خلاف ؟ أنت إمام مسجد وتقرأ في صلاتك كل ركعة :

﴿ إياك نعبُد وإياك نستعين ﴾ ويكررها المسلم في يومه عشرات المرات ، ولا سيما في صلاته ؛ فلم يتراجع هذا الشيخ الصوفي النقشبندي عن خطئه ، بل أصرَّ ،وبدأ يجادل ، ويعتبر المسألة خلافية لِيُبرر موقفه الخاطئ ! إن المشركين الذين حاربهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون أولياءهم في وقت الرخاء ، ولكن إذا وقعوا في شدة أو كرب سألوا الله وحده ، كما قال الله تعالى عنهم :

﴿ هوَ الذي يُسيِّركم في البرّ والبحرِ ، حتى إذا كنتم في الفُلكِ وجَرَينَ بهم بريح طيبة وفرِحوا بها جاءتها ريحٌ عاصِفٌ وجاءَهمُ

الموجُ مِن كُلِ مَكانٍ وَظَنوا أنهُم أُحيطَ بهم ، دعَوُا الله مُخلِصين له الدين ، لئن أنجَيْتنا مِن هٰذه لَنَكونَنَّ مِن الشاكرين ﴾ .

«سورة يونس ٢٢»

وقال عن المشركين : ﴿ **ثم إذا مَسَّكُمُ الضرُّ فإلَيْهِ تَجْأَرُون** ﴾ .

«سورة النحل ٥٣»

٣ ـ دخلت مرة على شيخ كبير له طلاب وأتباع ، وهو خطيب وإمام مسجد كبير ، وبدأت أتكلم معه عن الدعاء وأنه عبادة لا يجوز إلا لله وحده ، وأتيت له بدليل من القرآن وهو قوله تعالى :

﴿ **قل ادعوا الذين زَعَمْتُمْ مِن دونه فلا يَمْلِكُونَ كشفَ الضرِّ عنكم ولا تَحْويلًا ، أولئك الذين يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إلى ربهم الوسيلة أيهُمْ أَقْرَبُ ويَرْجُونَ رحمَتَه وَيَخَافُونَ عذابهَ إنَّ عذاب ربك كان محذوراً** ﴾ . «سورة الإسراء ٥٦، ٥٧»

فما المراد من قوله : ﴿ **أولئك الذين يدعون . .** ﴾ ؟ فقال لي : الأصنام ، قلت له : المراد الأولياء الصالحون . . فقال لي نرجع إلى تفسير ابن كثير ، فمدَّ يده إلى مكتبته ، وأخرج تفسير ابن كثير فوجد المفسر يقول أقوالًا كثيرة أصحها رواية البخاري التي تقول : «قال ناسٌ مِن الجن كانوا يُعبَدون فأسلَموا ،

وفي رواية كان ناسٌ مِن الإنس يَعبدون ناساً مِن الجن فأسلَم الجن وتمسَّك هؤلاء بدينهم» . «ج ٣/٤٦»

فقال لي الشيخ : الحق معك ، ففرحت بهذا الاعتراف الذي قاله الشيخ ، وبدأتُ أتردَّدُ عليه وأجلس في غرفته ، وفوجئت مرة كنت عنده فقال للحاضرين : إن الوهابية نصف كفار ، لأنهم لا يؤمنون بالأرواح ، فقلت في نفسي لقد بدل الشيخ رأيه وخاف على منصبه فافترى على الوهابية ، والإيمان بالأرواح لا يُنكره الوهابية ، لأنها ثابتة في القرآن والحديث ، ولكنهم ينكرون أن تكون للروح تصرفات كإغاثة الملهوف ، وعون الأحياء ، ونفعهم وضرهم ، لأن هذا الشرك الأكبر الذي ذكره القرآن عن الأموات بقوله :

﴿والذين تَدْعُون مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطمِيرٍ ، إنْ تَدْعُوهُم لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُم ، وَلَو سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُم ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُم ولا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ «سورة فاطر»

فهذه الآية صريحة في أن الأموات لا يملكون شيئاً ، وأنهم لا يسمعون دعاء غيرهم ، وعلى فرض سماعهم لا يستطيعون الإجابة ، ويوم القيامة يكفرون بهذا الشرك الذي صرحت به الآية : **﴿ وَيَوْمَ القِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُم ﴾** «سورة فاطر»



التعقيب على كتاب الخطيب

قال الشيخ صالح الفوزان :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده : وبعد :

فقد اطَّلعت على كتاب عنوانه «الدعوة الوهابية ؛ محمد بن عبدالوهاب العقل الحر والقلب السليم» للأستاذ عبدالكريم الخطيب .

والكتاب في جملته يتضمَّن دراسة تحليليَّة لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب من حيث الأسس التي قامت عليها ، وطريقتها ، وثمرتها ، والحاجة إليها ، وما قُوبلت به من خصومها .

وهو كتاب جيد في بعض مواضيعه ، وسَيِّءٌ في مواضيع أُخرى منه ؛ فقد أدركت عليه ملاحظات مهمَّة وخطيرة لا يسعني المرور بها دون تعليق عليها ؛ بياناً للحق ، ونصحاً للخلق ، وإنصافاً لهٰذه الدعوة المباركة ؛ برد ما يُلْصِقُه بها أعداؤها من تُهم ، وما يقذفونها به من شبهات ؛ شأنها في ذلك شأن كل دعوة إصلاح .

ناهيك بما حصل لدعوة الرسول ﷺ على يد خصومها من ذلك .

ولعل الاستاذ الخطيب قد وقع في تلك الأخطاء تأثُّراً بما يسمع أو يقرأ مما يمليه أو يلقيه خصوم هٰذه الدعوة ؛ دون تنبُّه لأهدافهم وأغراضهم ، وإن كان الأستاذ قد أزاح عن هٰذه الدعوة المباركة كثيراً مما لفَّقه أعداؤها من شُبهات ؛ لكنه أبقى على بعضها مما لولاه لكان كتابه جيداً مئة في المئة .

وكان الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم وفَّقه الله قد لاحظ على الأستاذ كثيراً من تلك الأخطاء بملاحظات مختصرة طُبِعَت مع كتابه في طبعته الأخيرة دون أن يغيِّر من واقع تلك الأخطاء شيئاً ؛ مما يدلُّ على إصراره عليها .

وهـذا مما يؤكِّد عليَّ تقديم ملاحظاتي هذه بدافع النصح وتجلية الحقيقـة ؛ لعـل الأستـاذ يعيد النـظر في كتابه ، فيُنَحِّي عنه تلك الهفـوات ليَسْلَمَ من تَبِعتِهـا ، ويُجَنِّب القـراء ـ خصوصاً الذين لا يعرفون هذه الدعوة معرفة جيِّدة عن الوقيعة فيها ، فالرجوع إلى الحق خير من التَّمادي في الباطل .

وهذه الملاحظات بعضها جاء عرضاً في غير صميم الموضوع ، وإليك بيانها بالتفصيل .



الدعــوة المحمديــة

١ ـ تسميته لدعوة الشيخ بالدعوة الوهّابية ، وتسميته لأتباعه أيضاً بالوهّابية .

ـ ولعل الأستاذ فعل ذلك مجاراة لخصوم الدعوة الذين ينبزونها بهذا اللقب لمقصد خبيث لم يتنبّه له ؛ فهذه التسمية ـ خطأ من ناحية اللفظ ومن ناحية المعنى :

أ ـ أما الخطأ من ناحية اللفظ ؛ فلأن الدعوة لم تُنْسَب في هذا اللقب إلى مَن قام بها ـ وهو الشيخ محمد ـ، وإنما نُسبت إلى عبدالوهاب ـ الذي ليس له أي مجهود فيها ـ، فهي نسبة على غير القياس العربي ، إذ النسبة الصحيحة أن يقال :

(الدعوة المحمَّدية) .

لكن الخصوم أدركوا أن هٰذه النسبة حسنة لا تُنَفِّر عنها ، فاستبدلوها بتلك النسبة المزيَّفة .

ب ـ وأما الخطأ من ناحية المعنى ؛ فلأن هذه الدعوة لم تخرج عن نهج مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، فكان الواجب أن يقال : (الدعوة السلفية) .

لأن القائم بها لم يبتدع فيها ما يُنْسَب إليه ؛ كما ابتدع دعاة النِّحَل الضالَّة من الإسماعيلية والقرمطيَّة ، إذ هٰذه النِّحَل الضَّالَّة لو سُمِّيَت سلفية ؛ لأبى الناس والتاريخ هذه التسمية ؛ لأنها

خارجة عن مذهب السلف ، ابتدعها من قام بها .

فالنسبة الصحيحة لفظاً ومعنى لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يُقال : الدعوة المحمَّدية ، أو الدعوة السلفية . لكن لما كانت هذه النسبة تغيظ الأعداء ؛ حرَّفوها ، ولذلك لم تكن الوهابية معروفة عند أتباع الشيخ ، وإنما ينبزهم بها خصومهم ، بل ينبزون بها كل مَن دان بمذهب السلف ، حتى ولو كان في الهند أو مصر وإفريقية وغيرها ، والخصوم يريدون بهذا اللقب عزل الدعوة عن المنهج السليم ، فقد أخرجوها من المذاهب الأربعة ، وعدُّوها مذهباً خامساً :

﴿ حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ ﴾ . «البقرة»



الخلاف بين الصحابة

٢ ـ قال الأستاذ في (ص ١٢) :

«فالحرب التي دارت بين علي ومعاوية قد اختلط فيها الرأي بالهوى ، والدين بالسياسة» .

ـ هكذا قال سامحه الله ، مع أن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ ، وعدم الخوض فيما شجَرَ بينَهم ؛ لأنهم في ذلك معذورون ؛ إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون ، إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطؤوا فلهم أجرٌ واحد ، والخطأ مغفور .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

«ثم القدر الذي يُنكَر مِن فعل بعضِهم قليل نَزْرٌ مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم : من الإيمان بالله ورسوله ، والجهاد في سبيله ، والهجرة ، والنصرة ، والعِلم النافع ، والعمَل الصالح ، ومَن نظر في سيرة القوم ـ بعلم وبصيرة ـ وما مَنَّ الله عليهم به مِن الفضائل ؛ عَلِم يقيناً أنهم خيرُ الخلق بعد الأنبياء» .



أسمـاء الله توقيفيـة

٣ ـ وفي (ص ٢٠) لما تحدَّث عن الكائنات ؛ قال :

«لا بدَّ من قوة وراء هٰذه الظواهر جميعها ، لا بد مِن موجد لها ، قائم عليها ، منظِّم لوجودها ، ممسك ببقائها ، سَمِّ هٰذه القوة ما شئت من أسماء ، وبأية لغة ، وعلى أي لسان ؛ إنها (الله) ، خالق الكـون ، ومـدبِّـر الوجود ، وهٰذا ما يسمَّى بالتوحيد ؛ أي : الإيمان بالقوة الواحدة المُوجِدَة لكل شيء ، والمتصرفة في كل شيء» اهـ .

ولنا على هٰذه الجملة ملاحظتان :

الأولى : أنه جوَّز أن يسمَّى الله قوَّة وهٰذا خطأ ؛ لأن أسماء الله توقيفية ، فلا يسمَّى إلا بما سمَّى به نفسه ، أو سماه به رسوله ، وقد سمَّى نفسه بالقوي ؛ كما قال تعالى :

﴿ يَرْزُقُ مَنْ يَشاءُ وهُوَ القَوِيُّ العَزِيْزُ ﴾ . «الشورى آية ١٩»

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِيُّ العَزِيْزُ ﴾ . «هود آية ٦٦»

والقوة صفته ؛ كما قال سبحانه :

﴿ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ ﴾ . «الذاريات آية ٥٨»

فالقـويُّ : اسمـه ، والقـوَّة صفته سبحانه ، وهناك فرقٌ بين الاسم والصفة .

ثم إنه لا يجوز لنا أن نسمي الله بما شئنا مِن أسماء ؛ لأن أسماءَه توقيفية ، فلا نُسَميه إلا بما سمَّى به نفسه .

هل يكفي توحيد الربوبية

الملاحظة الثانية : أنه فسَّر التوحيد بأنه الإقرار بأن الله هو مدبِّر الوجود وموجده ، فإن أراد أن هٰذا هو توحيد الرُّبوبية ؛ فهٰذا صحيح ، لكن هٰذا التـوحيد لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله ، ولا يدخل صاحبه في الإسلام ، ولا يعصم دمه وماله ؛ لأن الكفار يقرُّون بهٰذا وهم الكفار :

قال تعالى : ﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ** ﴾ «الزخرف»

﴿ **وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماوَاتِ والأَرْضَ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ** ﴾ . «العنكبوت آية ٦١»

وإن أراد أن هذا هو التوحيد المطلق المطلوب من الخلق ، فهذا خطأ واضـح ، لما ذكـرنا من أن الكفار أقرُّوا به ولم ينفعهم في الدنيا ، ولا ينفعهم في الآخرة ، وسمَّاهم الله كفاراً لَمَّا لم يُقِرُّوا بتوحيد الإلهيَّة الذي هو عبادته وحده لا شريك له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : «فإقرار المرء بأن الله رب كلِّ شيء ومليكه وخالقه لا ينجيه من عذاب الله إن لم يقتَرِنْ به إقرارٌ بأنه لا إلٰـه إلا الله ، فلا يستحق العبادة أحدٌ إلاَّ هو ، وأن محمداً رسول الله ، فيجب تصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر» .

وقال أيضاً : «وقد أخبر الله سبحانه عن المشركين من إقرارهم بأن الله خالق المخلوقات ما بيَّنه في كتابه فقال :

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ لَيَقولُنَّ اللهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ ما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ أَرادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُون ﴾ . «الزمر آية ٣٨»

وذكر آيات كثيرة في هٰذا المعنى ، ثم قال :

وبهٰذا وغيره يُعْرَف ما وقع مِن الغلط في مسمَّى التوحيد ؛ فإن عامة المتكلِّمين الذي يُقَرِّرُون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع ، فيقولون : هو واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك له ، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هوالثالث ، وهو توحيد الأفعال ، وهو أن خالق العالَم واحد . . . ويظنُّون أن هٰذا هو التوحيد المطلوب ، وأن هٰذا هو معنى قولنا :

(لا إلٰـه إلا الله) ، حتى يجعلوا معنى الإلٰهيَّة القدرة على الاختراع . ومعلومٌ أن المشركين من العرب الذين بُعِثَ إليهم رسول الله ﷺ أولاً لم يكونوا يخالفونه في هٰذا ، بل كانوا يُقِرُّون بأن الله خالق كل شيء ، حتى إنهم كانو يُقِرُّون بالقدَر أيضاً ، وهم مع هٰذا مشركون» اهـ .

* * *

٤ ـ وفي (ص ٧٤ ـ ٧٥) يقول الأستاذ :

«بدأت الدعوة (يعني : دعوة الشيخ) حادة عنيفة مطبوعة بطابع التطرف والمغالاة ، فكان طبيعياً أن يلقاها الناس بعناد وتطرُّف ؛ ومثل هٰذا لا يجعل للسلم مجالاً بين الطرفين المتقابلين . . .» . إلى أن قال :

«بدأت (يعني : الدعوة) بإنكار المجتمع الإسلامي كله ، فالمسلمون جميعاً في نظر الوهابيِّين قد انسلخوا عن الإسلام بما أدخلوا على دينهم من بدع ومحدثات ؛ كالتوسل بغير الله ، ورفع القباب على قبور الموتى ممن يعتقد فيهم الصلاح ، وهٰذا لونٌ من الشرك بالله ، وفي هٰذا بعض الحق ، ولكنْ فيه كثيرٌ من المبالغة والغلو . . .» . إلى أن قال :

«كان لا بُدَّ أن يحدث هٰذا (يعني : شدة الخلاف بينهم وبين غيرهم) بعد أن وضع الوهَّابيون دعوتهم في هٰذا الإطار الذي يحصر الإسلام في دعوتهم ، ويجعل كل مَن انحرف عنها منحرفاً عن الإسلام ، داخلاً في مداخل الكفر والإلحاد ، ونجد هٰذا واضحاً في الكتب التي ألَّفها علماء الوهَّابيِّين» اهـ .

ـ والجواب أن نقول : هٰكذا يصف الأستاذ دعوة الشيخ بهٰذه الأوصاف :

أ ـ الغلو والتطرف والعنف .

ب ـ تكفير جميع المسلمين ، وحصرُ الإسلام في تلك الدعوة ، وتكفير مَن انحرف عنها .

جـ ـ أن كتب علماء الوهَّابية تشتمل على تكفير المسلمين .

وجوابنا على ذٰلك أن نقول :

أولاً : قد تناقض الأستاذ في كتابه هٰذا تناقضاً واضحاً في موضوع دعوة الشيخ ، فبينما هو يصفها بهٰذه الصفات المنفِّرة التي ربما يكون قد قرأها من كتب خصومها ، أو سمعها من أفواههم ، ﴿ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ ، بينما هو يُسَطِّرُ هذه الصفات هنا ، إذا هو في آخر كتابه يقول في (ص ١١١ ـ ١١٢) :

«ودعوة محمد بن عبدالوهاب من الكلم الطيب ؛ إنها تستند إلى الحق ، وتدعو له ، وتعمل في سبيله ، ولهٰذا كانت دعوة مباركة ، وفيرة الثمر ، كثيرة الخير ، لقد قام صاحبها يدعو إلى الله لا يبتغي بهٰذا جاهاً ، ولا يطلب سلطاناً ، وإنما يضيء للناس معالم الطريق ، ويكشف لهم المعاثر والمزالق التي أقامها الشيطان على جوانبه .

ولقد اصطدمت هٰذه الدعوة وهي وليدة في مهدها بقوة عاتية ، لو لم تكن تستند إلى أصول ثابتة من الحق ، وتقوم على دعائم قوية من الإيمان ؛ لقضي عليها من أول صدمة ، وَلَمَّا واصلت سيرها

في الحياة ، ولما بقي منها في قلوب الناس أثر يُنْتَفَع به . . » .
إلى أن قال : «لقد وقف أتباع هٰذه الدعوة وقفة لا يمكن أن توصف بأقل مِن مواقف الشهداء من أتباع الأنبياء وحوارييهم . . . » .
إلى أن قال بعدما ذكر موقفهم من حملة إبراهيم باشا :
«وهٰكذا الدعوات الخالصة والمبادىء السليمة أشبه بالمعادن الكريمة ، تزيدها النار وهجاً وبريقاً ، وكالنبت الطيب يزيده الحريق أريجاً وطيباً ، فلقد كانت هذه الدماء الزكية التي أُريقت في سبيل الدعوة أكرم على الله من أن تذهب هدراً ، أو تضيع هباء ، ولقد كانت غذاء طيباً لتلك الشجرة المباركة ، فزكت وأينعت وأطلعت أطيب الثمرات . . . » .
هذا ما قاله الأستاذ في ثنائه على دعوة الشيخ وتزكيتها .
فهل تراه نسي ما كتبه قبل ذلك من وصفها بتلك الصفات المنفِّرة : الغلو ، والتطرف ، وتكفير جميع المسلمين ؟!
كيف نجمع بين طرفي كلامه وهما نقيضان ، والجمع بين النقيضين مستحيل ، فكيف يجتمع في دعوة الشيخ هٰذا وذاك ؟!
ثانياً : إذا كانت دعوة الشيخ هي الحق ؛ كما شهد به الأستاذ وغيره ، وكما هو الواقع الذي لا شك فيه ؛ فما خالفها ، فهو الباطل قطعاً ، ﴿ فماذا بَعْدَ الحَقِّ إلاَّ الضَلالُ ﴾ . «يونس آية ٣٢»

وليست هذه المخالفة في مسألة اجتهادية فرعية ، بل في صميم العقيدة .

فهل يرى الأستاذ جهاد المخالف الذي أصر على مخالفته وعاند ؛ هل يرى جهاده في سبيل العقيدة غُلُوّاً وعُنفاً وتَطَرفاً ؟ .

إذاً ؛ فأين موضوع الجهاد في سبيل الله ؟ .

وهل الشيخ وأتباعه جاهدوا إلا لأجل تصحيح العقيدة والقضاء على الشرك ؟ وهل جاهد الرسول ﷺ وأصحابه من قبل إلا لأجل هذا ؟!



ثالثاً : وأما دعواه أن مِن سِماتِ الدعوة تكفير المسلمين ، فلْنترك الجواب عنها للشيخ محمد بن عبدالوهاب نفسه :

قال رحمه الله في رسالته إلى السويدي ـ عالم مِن أهل العراق كان قد أرسل إليه كتاباً ، وسأله عما يقول الناس فيه ـ فأجاب بهٰذه الرسالة ، ومنها :

«وأخبرك أني ولله الحمد مُتَّبع ، ولستُ بمُبتَدِع ، عقيدتي وديني الذي أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ؛ مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة ، لكنِّي بيَّنتُ للناس إخلاص الدين لله ، ونهيتهم عن دعوة الأحياء (الغائبين) والأموات من الصالحين وغيرهم ، وعن إشراكهم فيما يُعْبَد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه مَلَكٌ مُقرَّب ولا نبّي مرسَل ، وهو الذي دَعَتْ إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة . . .» .

إلى أن قال رحمه الله : «ومنها ما ذكرتُم أنِّي أُكفِّر جميع الناس إلا من اتَّبعني ، وأزعم أنَّ أنكِحَتَهم غير صحيحة ، ويا عجَباً ! كيف يدخل هٰذا في عقل عاقل ؟! هل يقول هٰذا مسلم ؟!

إني أبرأ إلى الله من هذا القول الذي ما يصدر إلا عن مُختلّ العقل» .

ثم قال : «وأما التكفير ؛ فأنا أكفِّر مَن عرف دين الرسول ثم بعدما عرفه سبَّه ، ونهى عنه ، وعادى مَن فعله ، فهذا هو الذي أكفِّره ، وأكثر الأُمة ولله الحمد ليسوا كذلك» اهـ .

وقال رحمه الله في رسالة له : «وأما ما ذُكِرَ لكم عني ؛ فإني لم آته بجهالة ، بل أقول ـ ولله الحمد والمنة ، وبه القوة ـ:

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . دِيْناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . «الأنعام آية ١٦١»

ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أُعظمهم ، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم ، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له ، وأدعو إلى سنة رسول الله ﷺ التي أوصى بها أول أُمته وآخِرَهم ، وأرجو أني لا أردُّ الحق إذا أتاني ، بل أُشْهِدُ اللهَ وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم مِن الحق ، لأقبلنَّه على الرأس والعين ، ولأضرِبَنَّ الجدار بكل ما خالفه من أقوال أئمتي حاشا رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقول إلا الحق» اهـ .

فهذا منهج الدعوة ، يصفه لنا إمام الدعوة نفسه رحمه الله ، فهل في هذا غلو وتطرف وتكفير لجميع المسلمين ؟!

التثبـــت واجــب

إنـه يجب عليك أيها الأستاذ أن تحاسِبَ نفسك على ما تقول وتكتب ، ولا ترسـل القول جزافاً ، وأن تتثبَّت قبل أن تصدر الحكم ؛ عملاً بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحوا على مَا فَعَلْتُم نادِمِينَ ﴾ . «الحجرات آية ٦»

رابعاً : وأما دعواه أن كتب علماء الوهَّابية تشتمل على تكفير المسلمين إلا مَن كان يدين بدعوتهم ؛ فنحن نطالبه أن يُبرز لنا كتاباً واحداً من كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب أو من كتب أبنائه وأحفاده وكتب تلاميذهم . . . إلى يومنا هٰذا يُصَدِّق ما نسبه إليهم من تكفيرهم للمسلمين .

وبـالجملة ؛ فالأستـاذ وصف دعـوة الشيخ بصفـات مذهب الخـوارج : الغلُو ، والتـطرف ، والعنـف ، وتكفير المسلمين ، وحصر الإسلام فيهم .

من أين استقى هٰذه المعلومات الخاطئة عن الدعوة ؟!

لا بد أنه استقاها من كتب خصومها ، وما هٰذا شأن الباحث المنصف ؛ فضلاً عن العالم المسلم الذي يعلم أنه سيحاسَب بين يدي الله عن كل كلمة يقولها أو يكتبها .

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ . «سورة ق آية ١٨»

٥ ـ ويقول الأستاذ في (ص ٨٢) : «وإذن ؛ فنستطيع أن نقول : إن هٰذه الدعوة مهما كان اتصالها بالسياسة ؛ فقد بقي اللون الغالب عليها هو الدين ، وظل صاحب الدعوة هو صاحب الكلمة في المجتمع الذي استجاب له بما فيه من حكام ومحكومين . . . إلخ» .

ـ ونقول له : هل الدين منفصل عن السياسة ؟!

إن الدين فيه السياسة الصحيحة ، والشريعة الإسلامية دين ودولة ، فالسياسة الصحيحة لا تقوم إلا على الدين .



هـدم معالـم الشـرك

٦ ـ في (ص ٩٣) يتكلَّم الأستاذ في موضوع هدم القباب المقامة على القبور ، فيقول :

«وقد بدأ هٰذا العمل صاحبُ الدعوة محمد بن عبدالوهاب ، فهدم القبة المقامة على قبر زيد بن الخطاب ، ثم تلا ذلك هدم كثير من قباب الصحابة والتابعين ، ثم تجاوز هٰذا إلى قبر الرسول الكريم وإلى الكعبة الشريفة ، فحالوا بين الناس وبين التمسُّح بهما والتماس البركة منهما ، وكان ذلك هو الذي أثار ثائرة المسلمين في كل مكان ، وعدُّوا من أجله الوهَّابيين حرباً على الإسلام ؛ لأنهم لا يقدسون مقدساته ، ولا يوقرون حرماته» .

ـ والجواب على ذلـك أن نقول : إن هدم القباب المقامة على القبـور هو واجب جميع المسلمين ؛ تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ ، حيث قال : «**لا تَدَعْ قبراً مُشْرِفاً إلا سوَّيتَه**» . «رواه مسلم وغيره»

وأمـا التمسُّح بالكعبة؛ فالوارد عن رسول الله ﷺ هو استلام الحجر الأسود، وتقبيله، واستلام الركن اليماني دون بقية الأركان.

ولهٰذا أنكر ابن عباس رضي الله عنهما على معاوية رضي الله عنه لما كان يستلم أركـان الكعبة كلها ، ويقول : ليس من البيت شيء مهجور ، وذكر له ابن عباس فعل الرسول ﷺ ، وتلا عليه

هٰذه الآية الكريمة :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ . «الأحزاب»

فتراجع معاوية رضي الله عنه عن رأيه اتّباعاً للرسول ﷺ ، وقال صدقت .

وهٰذا شأن المسلم : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾ . «الاحزاب آية ٣٦»

فادعـاء الأستـاذ أن علماء الدعوة يمنعون التمسُّح بالكعبة مطلقاً ادعـاء خاطئ ، وأمـا التمسـح بقبـر الرسول ﷺ ، فهو حرام ، ووسيلة من وسائل الشرك ، وكذا التمسح بقبر غيره من باب أولى ، والمنع من ذلك واجب ، وهو من محاسن الدعوة لا من مثالبها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» :

«وأمـا سائر جوانب البيت والركنان الشاميان ومقام إبراهيم ، فلا يُقَبَّل ، ولا يُتَمَسَّح به باتفاق المسلمين المتَّبعين للسنة المتواترة عن النبي ﷺ ، فإذا لم يكن التمسُّح بذلك وتقبيله مستحبّاً ؛ فأولى أن لا يُقَبَّل ولا يتمسح بما هو دون ذلك .

واتفق العلماء على أنه لا يستحبُّ لمن سلَّم على النبي ﷺ عند قبره أن يُقبل الحُجرة ، ولا يتمسَّح بها ، لئلا يضاهي بيت المخلوق بيت الخالق ، ولأنه قال ﷺ :

(**اللهُمَّ لا تجعل قبْري وَثَناً يُعْبَد**) . «صحيح رواه أحمد»

وقال : (**لا تتَّخِذوا قبري عيداً**) . «حسن رواه أحمد»

وقال : (**إن مَن كان قبلَكم كانوا يتَّخِذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ؛ فإني أنهاكم عن ذلك**) . «رواه مسلم»

فإذا كان هٰذا دين المسلمين في قبر النبي ﷺ الذي هو سيد ولد آدم ؛ فقبرُ غيره أولى أن لا يُقَبَّل ولا يُسْتَلَم) . «جـ ٢٦/٩٧»

وقال أيضاً : «ولا يُستَلَم مِن الأركان إلا الركنين اليمانيين دون الشاميين ؛ فإن النبي ﷺ إنما استلمهما خاصة ؛ لأنهما على قواعد إبراهيم ، والآخران هما في داخل البيت ، فالركن الأسود يُستلم ويُقبَّل ، واليماني يُستلم ولا يُقبَّل ، والآخران لا يُستلمان ولا يُقبلان ، والاستلام هو مسح باليد ، وأما سائر جوانب البيت ومقام إبراهيم وسائر ما في الأرض من المساجد وحيطانها ومقابر الأنبياء والصالحين وصخرة بيت المقدس ، فلا تستلم ، ولا تُقبَّل باتفاق الأئمة» اهـ . «جـ ٢٦/١٢١»

فالتبرك بالبقاع والقبور والآثار إذا كان القصد منه التعلُّق على غير الله في حصول البركة وطلبها من غيره فهٰذا شركٌ ، فماذا على علماء الدعوة إذا حالوا بين الناس وبين الشرك ووسائله نصحاً للخلق وغَيرة للحق ؟!

الدين يُنكر البدع

ثم يعدُّ الأستاذ منع التمسح بقبر الرسول ﷺ تعريضاً لمقامه وقبره للأذى . انظر (ص ٩٤) من كتابه .

ويا سبحان الله ! إن الذي يؤذي الرسول حقيقة هو الذي يجعل قبره وثناً يُعبد ، ويرتكب ما نهى عنه ، أو يدافع بلسانه وقلمه عمَّن يفعل ذلك .

وقوله : «وكان ذلك هو الذي أثار ثائرة المسلمين في كل مكان . . .» إلخ ؛ قولٌ فيه مجازفة وتقوُّل على المسلمين ، فالمسلمون بالمعنى الصحيح يؤيدون علماء الدعوة في ذلك ، ولا ينكره إلا الجهال الذين لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه ، أو المعاندون من عُبّاد القبور ، وهٰؤلاء وأولٰئك لا اعتبار لإنكارهم في ميزان الحق ومجال النقد .

ثم الدَّاعية إلى الحق لا بدَّ أن يُعادَىٰ وتُحاك ضده التُّهم ، ولنا بما جرى لسيدنا محمد ﷺ وبما جرى لإخوانه النبيِّين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما جرى على أتباعهم ، لنا في ذلك أكبر أسوة وأعظم عبرة .

ثم إن الأستاذ أراد أن يلطِّف الموضوع ، ويغطِّي ما مر في كلامه من شطحات ، فقال :

«إن هٰذه الأمور (يعني : الأمور التي أنكرها الشيخ) بمنزلة ورم

خبيث يحتاج إلى يد نطاسي بارع للقضاء عليه» ؟!

٧ ـ ثم يقول : «ولو أن الوهَّابية قد أخذت الأمر مأخذاً هيِّناً ، ودعت أول ما دعت إلى ترك البدع الصارخة ، كالزار والتمائم وغير ذلك مما كان يعيش عليه كثير من المسلمين في ذلك الحين ، ولو أن الوهابيِّين فعلوا هٰذا ؛ لكان تمهيداً طيّباً ومقدمة ناجحة لما تنطوي عليه دعـوتهم من تحرير العقـل الإسـلامي وتحرير العقيدة الإسلامية مما غشيها من جهل وضلال» .

هٰكـذا يرى الأستـاذ طريقة الدعوة الناجحة أن يترقَّى بها من الأدنى إلى الأعلى ، بحيث يبدأ بإنكار البدع أولاً ، ثم بإنكار الشرك . ولنا على ذلك ملاحظتان :

الأولى : عده التمائم من البدع ، مع أنها قد تكون شِركاً إذا اعتقد معلِّقها أنها تدفع الشر بذاتها ، وكذا إذا كان فيها ألفاظ شركية ؛ قال ﷺ : «**إن الرُّقى والتَّمائم والتِّولة شِرْكٌ**» . «صحيح رواه أحمد»

[التولة : نوع مِن السحر يحبب المرأة لزوجها]

الثانية : إن هذه الطريقة التي وصفها للدعوة مخالفة لطريقة الرسول ﷺ ، فالرسول أول ما بدأ بإنكار الشرك ، فلبث في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو إلى التوحيد وإنكار الشرك قبل أن يأمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج ، والنهي عن البدع إنما يكون بعد صلاح العقيدة ، بحيث يبـدأ بالأهـم فالأهم ، بل هٰذه طريقة جميع

الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، كل نَبيٍّ أول ما يبدأ قومه بقوله : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ .

٨ ـ يتكلَّم الأستاذ عن الاستعانة بالمخلوق ، فيقول :

«إن الإنسان الذي يؤمن بالله ويضمُّ قلبه على توحيده لا يخلو أبداً في حالات مختلفة من أن ينظر من غير قصد إلى غير الله فيما يطرُقُه من أحداث ذلك في الوقت الذي لا يخلى فيه قلبه من ذكر الله والإيمان بتفرُّده بالألوهية ، ونحن نرى أن مثل هذه الالتفاتات العارضة لا يمكن أن تقطع الطريق على المسلم ، وأن تعزله عن ربه ، وتسلكه في عداد الكافرين الملحدين ، كما تقول بذلك الدعوة الوهابية ، فأي إنسان لا تَخِفّ نفسه من غير قصد إلى التماس العون من ذوي الجاه وأصحاب السلطان ؟ . . .» .

إلى أن قال : «فهل لو أُلقي مسلم اليوم في النار ، ثم جاءه أحدٌ يَمُدُّ إليه يد الخلاص ، أيكون هذا المسلم كافراً أو ملحداً إذا قبل العون ؟!

إن التوحيد الخالص على الوجه الذي تُصَوِّرُهُ الدعوة الوهَّابية يُحتِّم على مثل هذا الإنسان ألا يستعين بغير الله .

فكيف الأمر إذن وصاحب الدعوة نفسه قد مدَّ يده إلى أمير العُيينة أولاً ، ثم إلى الأمير محمد بن سعود ثانياً ؟!

فهل في هذا ما ينقص التوحيد أو يفسد العقيدة ؟! فإن الأخذ

بالأسباب أمر يدعو إليه العقل ، ويزكّيه الدين ، وغاية ما في الأمر أن يَضِلَّ بعض الناس عن جهل عن الاتجاه إلى الأسباب السليمة المتَّصلة بالمسببات ، وذلك ما يمكن أن نفسر به تعلُّق بعض الجهلة بالأضرحة ونحوها ؛ أنهم ضَلُّوا الطريق ، فلم يتعرَّفوا على الأسباب الصحيحة ، ومثل هٰذا يوصف بالجهل ، ولا يُتَّهم صاحبه بالكفر والخروج عن الدين» اهـ «ص ١٠١»

وقد كرَّر الأستاذ كلمة: «من غير قصد» فهل مراده أن هذه الأشياء التي ذكرها تصدر من نائم أو ناس أو مجنون أو غير مميِّز أو مكره ؟! فكل من هٰؤلاء مرفوع عنه القلم بنصوص الأحاديث ، فلا داعي إلى هٰذا التطويل .

وماذا يقصد بالالتفاتة العارضة إلى غير الله التي نسب إلى الدعوة الوهابية تكفير مَن فعلها ؟!

إن كان قصده الالتفات بطلب الحاجات وتفريج الكربات إلى الأموات والغائبين ؛ فهٰذا كفر بإجماع المسلمين ، ليس في الدعوة الوهابية فحسب ؛ لأنه دعاء لغير الله :

﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فإنَّما حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرونَ ﴾ . «سورة المؤمنون ١١٧»

والآيات في هذا كثيرة .

وإن قصد بهٰذا الالتفات الاستعانة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه كما يظهر من قوله : «فأي إنسان لم تَخِفّ نفسه من غير قصد إلى التماس العون من ذوي الجاه والسلطان» ؛ فهٰذا مباحٌ ، وقد تجنى الأستاذ على دعوة الشيخ في قوله :
إنها تكفِّر مَن فعل ذلك وتعدُّه ملحداً .

وهو يرد على نفسه ويتناقض في قوله حين يقول : «وصاحب الدعوة قد مَد يدَه إلى أمير العُيَينة أولاً ، ثم إلى الأمير محمد بن سعود ثانياً» .

فقد رَدَّ على نفسه فيما نسبه إلى هٰذه الدعوة ، ونحن نزيده بياناً في هٰذه المسألة من كلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، حيث يقول رحمه الله في كشف الشبهات ما نصه :

«فإن الاستغاثة بالمخلوق فيما يقدر عليه لا ننكرها ؛ كما قال الله تعالى في قصة موسى :
﴿ فاسْتَغاثَهُ الَّذي مِنْ شِيْعَتِهِ عَلى الَّذي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ «القصص١٥»
وكما يستغيث الإنسان بأصحابه في الحرب أو غيره في أشياء يقدر عليها المخلوق ، ونحن أنكرنا استغاثة العبادة التي يفعلونها عند قبور الأولياء ، أو في غيبتهم ، في الأشياء التي لا يقدر عليها إلا الله» اهـ .

وأمـا قولـه عن تعلُّق بعض الجهلة بالأضرحـة : «إنهم ضلوا الـطريق ، فلم يتعـرَّفوا على الأسباب الصحيحة ، ومثل هٰذا يوصف بالجهل ، ولا يُتَّهم صاحبه بالكفر والخروج عن الدين» .

فنقول له : مَن تعلق على الأضرحة عن جهل ؛ بُيِّن له الحق ، ودُعِي إلى التوحيد ، فإن أصَر على التعلق بالأضرحة بعد ذلك ؛ يستغيث بها ، ويطلب الحـاجـات منها ؛ فهو كافرٌ خارج عن الدين ؛ كشأن المشركين الأوَّلين الذين دعاهم رسول الله ﷺ إلى التوحيد ، فأبَوا ، وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلٰهاً واحِداً ﴾ «ص:٥» لأن الجهـل يَزُولُ بالبيان ، ولا يبقى على الضَّـلَالِ بعد البيان إلا معاندٌ للحق .



٩ ـ وفي الصفحات (١٠٣و١٠٤و١٠٥) يكتب الأستاذ كلاماً معناه أن الوهابية تسارع إلى تكفير الناس بتعليقهم التمائم ، وتمسُّحهم بالأضرحة ، مع كثرة من يفعل ذلك ، وخطورة التكفير وقسوته ، وكون مَن يفعل هٰذه المخالفات فعلها عن جهل ، ومِنْ أنَّه يُمكن العلاج عن طريق النصح والإرشاد . . إلخ .

ونحن نجيب الأستاذ عن ذلك بما سبق أن شرحناه بأن علماء الدعوة لا يُكفِّرون الناس بمجرَّد تعليق التمائم ، والتمَسح بالأضرحة مطلقاً ، بل في ذلك تفصيل :

فمَن علَّق التميمة أو تمسَّح بالضريح يعتقد في ذلك جلب النفع ودفع الضر من دون الله ؛ فهٰذا شرك .

ومن فعله يعتقده سبباً من الأسباب فقط مع اعتقاده أن جلب النفع ودفع الضر من الله ؛ فهو مُحرم ، ووسيلة من وسائل الشرك .

ومَن فعل ذلك جاهلاً ؛ بُيِّنَ له ، وأُرشد ، فإن استمر بعد ذلك ، مُنع منه بالقوة .

وكثرة من يفعله ليست حجة : ﴿ **وإنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ في الأرضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبيلِ اللهِ** ﴾ . «الأنعام آية ١١٦»

وأما كون التكفير فيه قسوة وخطورة ؛ فذلك لا يمنع من إطلاقه

على مَن اتَّصف به ، وعلماء الدعوة ـ والحمد لله ـ لا يُكفِّرون إلا مَن كفَّره الله ورسوله .

وأمـا قول الأستـاذ : «إنـه بعـد أن انتشر العلمُ في المجتمـع الإسلامي ، وخلصت العقول مِن تصورات الجهل ؛ ذهبت أو كادت تذهب كل هٰذه الصـور التي كانت تعيش في المجتمـع الإسلامي ؛ مِن تعظيم القبور ، والتمسح بالأضرحة» ؛ فهٰذا كلام ينقضه الواقع ، وما قبرُ أحمد البدوي ، ومشهد الحسين ، وغيرهما . . . وما يُفعل عند هذه الأضرحة الآن مِن الشرك الأكبر بخافٍ على الأستاذ ، ولا بعيد عن بلده .



الدعوة لا تقوم على العنف

١٠ ـ قد أكثر الأستاذ من وصف الدعوة بالجدة والعنف والمبالغة والغُلو والتعصب والخطأ في أسلوبها ، وهذه صفات ذميمة قد بَرَّأَ اللهُ الدعوة منها ، فهي ولله الحمد دعوة حكيمة صافية مبنيَّة على العلم النافع والجهاد الصادق والصبر ؛ أسوة برسول الله ﷺ ، وترسُّماً لخطاه .

وسأنقل فقرات مما كتبه الأستاذ في صفحات متعددة ما كان ينبغي له أن يكتبها :

ففي (ص ٧٤) يقول :

«بدأت الدعوة حادة عنيفة مطبوعة بطابع التطرف والمغالاة . . . فلقد بدأت الدعوة بما كان يجب أن تنتهي إليه ، بل بأكثر مما كان يجب أن تنتهي إليه ، بدأت بإنكار المجتمع كله» .

ويقول في (ص ٧٦) :

«كان ينبغي أن تسلك الدعوة مسلكاً أسلم عاقبة مِن هٰذا ، لو أنها بدأت أقل عنفاً مما كانت عليه» .

ويقول في (ص ٨١) :

«ولكن تعَصَّبَ الوهابيِّين (كذا ! والصواب : الوهَّابيون) لِرأيهم فبالغوا فيه ، وتعصَّبَ عليهم المجتمع الإسلامي في جملته ، فأنكر دعوتهم» .

وفي (ص ٩٣) يقول :

«وفي الحق أن الدعوة الوهابية في بَدْئِهَا قد أخطأت خطأً بيِّناً في أخذ الناس بهذا الأسلوب الحاد العنيف ؛ دون أن تُدْخِل في حسابها الأثر النفسي الذي يطغى على شعور المسلمين» .

وفي (ص ٩٥) يقول :

«فموضوع الدعوة سليم غاية السلام ، ولكن في أسلوبها بعدٌ كثيرٌ عن أساليب التربية» .

وفي (ص ١٠٣) يقول :

«ونقول : إن هٰذه المبالغة وهذا الغلو في تنقية العقيدة الإسلامية من رواسب الشرك قد وسَّعت هُوَّة الخلاف بين جمهور المسلمين والوهابيِّين» اهـ .

ـ والجواب أن نقول للأستاذ : من أي مرجعٍ اسْتَقَيْتَ هٰذه المعلومات وعرفت هٰذه الصفات عن الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه ؟

هل وجدت في كتب أصحابها ما يسوِّغ قولك؟ فها هي ـ ولله الحمد ـ موجودة وميسورة ، دُلَّنا على واحد منها يُصدِّق ما تقول .

أم تَلَقَّيْتَ ذلك من كتب خصومها ؟ فما كان يجوز لك أن تحكم على الخصم اعتماداً على كلام خصمه .

ثم قوله : «إن المجتمع الإسلامي بأسره أو معظمه قام في وجه

هٰذه الدعوة ورفضها» قول مردود ، فهٰذه كتب علماء المسلمين بالعشرات والمئات تُثْني على هٰذه الدعوة وتناصرها وتدافع عنها ؛ من علماء الهند ، واليمن ، والعراق ، والشام ، ومصر ، وغيرهم مما لا أُحصيه الآن مما تضمُّه المكتبة الإسلامية من الكتب التي تنافح عن هٰذه الدعوة ، إنما قام في وجهها فئات من علماء الضَّلالة الذين قال فيهم وفي أمثالهم الرسول ﷺ :

«إنما أخافُ على أُمَّتي الأئمة المضلِّين» «صحيح رواه الترمذي»

إن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء تترسَّم خُطا دعوة الرسول الكريم ﷺ ، فقد بدأ دعوته بتبصير الناس طريق الحق ، وتصحيح العقيدة بالبيان والتعليم ، فلما اجتمع حوله تلاميذ وأنصار اقتنعوا بدعوته ؛ طلب مِن الأمراء مَن يحميه ويناصره حتى يُبلِّغ هٰذه الدعوة إلى ما حوله من البلاد ؛ كما كان الرسول ﷺ يَعْرِض نفسه على القبائل ؛ يطلُبُ مَن يؤيِّده حتى يبلغ دعوة ربه ، فلما وجد الشيخ مِن الأمراء مَن يساعده ؛ جهر بالدعوة ، وكتب إلى العلماء والوُلاة في البلدان المجاورة يدعو إلى الله سبحانه ، ويطلب منهم المناصرة ، فاستجاب له مَن استجاب ، وعاند مَن عاند ، فكان لا بُد مِن الجهاد في سبيل الله ؛ لإعلاء كلمة الله ، وتطهير البلاد من الشرك أُسوةً برسول الله ﷺ حينما هاجر إلى

المدينة ، ووجد له أنصاراً فيها .

وليس في هٰذا عنفٌ أو غلوٌّ أو تعصُّب ، كما زعمت أيها الأستاذ ، بل هو سنة الرسول ﷺ في جهاد مَن عاند الحق ، وأصرَّ على الطغيان بعد البيان والإنذار .

وختاماً؛ نقول: يجب على الأستاذ أن يعيد النظر في كتابه، فيُصفِّيه من هٰذه التناقضات التي شوَّهت جماله، وطمست معالمه، ويستقي معلوماته من المراجع الصحيحة عن الدعوة المباركة، وعلى الأخص كتب الشيخ ورسائله، ككتاب التوحيد، وكتب أحفاده وتلاميذهم وغيرهم من العلماء؛ مثل «تيسير العزيز الحميد» ، و«فتح المجيد» و «الدرر السَّنِيَّة في الأجوبة النجدية»، و «غاية الأماني في الرد على النبهاني» لعلامة العراق محمود شكري الألوسي، و «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» لعلامة الهند محمد بشير السهسواني. . . وغيرها مما يوضح أهداف هٰذه الدعوة المباركة ، ويرد شبهات خصومها .

هٰذا ما نرجوه من الأستاذ الكريم .

ونسأل الله لنا وله التوفيق فيما نقول ونعمل ، هو حسبنا ونعم الوكيل

وصلى الله وسلم على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسلم .

الـرد على أبي زهـرة

قال الشيخ صالح الفوزان :

١ ـ عدَّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب نِحلة ومذهباً محدَثاً مستقلاً أطلق عليه لفظ الـوهَّابية وعدَّه مِن جملة المذاهب الضَّالَّة التي أدرجهـا تحت عنـوان : (مذاهب حديثة) : وهي الوهابية ، والبهائية ، والقاديانية . «تاريخ المذاهب الإسلامية ٢٠٧» .

ـ ومن المعلوم وواقــع دعـوة الشيخ أنـه ليس صاحب مذهب جديد ، وإنـما هو في العقيدة على مذهب السلف أهـل السنة والجماعة ، وفي الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، ولم يستقلَّ ولا بمسألة واحدة عن هٰؤلاء .

فكيف يعـدُّه أبوزهرة صاحبَ مذهب جديد ، ويُدرجه ضِمن المذاهب الضالة والنِّحَل الفاسدة ؟

قاتل الله الجهل والهوى والتقليد الأعمى .

وإذا كان هو يعيب على الوهابية ما توهَّمه مِن تكفيرهم للناس ، فكيف يُبيح لنفسه هٰذا الذي عابه على غيره ؟!

٢ ـ ثم قال : «ومُنشئ الوهابية هو محمد بن عبدالوهاب ، وقد درس مؤلَّفات ابن تيمية ، فراقت في نظره ، وتعمَّق فيها ، وأخرجها مِن حَيِّز النظر إلى حَيِّز العمل» .

ـ هٰكذا قال عن مرتبة الشيخ محمد بن عبدالوهاب العلمية : إنه لم يدرس إلا مؤلَّفـات ابن تيمية !! وكـأنه لم يقرأ ترجمة الشيخ

وسيرته ، ولم يعرف شيئاً عن تحصيله العلمي ، أو أنه عرف ذلك وكتمه بقصد التقليل من شأنه ، والتغرير بمن لم يعرف شيئاً عن الشيخ ، ولكن هذا لا يستر الحقيقة ، ولا يحجب الشمس في رابعة النهار ، فقد كتب المنصفون عن الشيخ رحمه الله مؤلَّفات كثيرة انتشرت في الأقطار ، وعرفها الخاص والعام ، وأنه رحمه الله تعمّق في دراسة الفقه والتفسير والحديث والأصول وكتب العقيدة التي من جملتها مؤلَّفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، وقد تخرَّج على أيدي علماء أفذاذ وأئمة كبار في مختلف الفنون في بلاد نجد والحجاز والإحساء والبصرة ، وقد أجازوه في مرويَّاتهم وعلومهم ، وقد ناظر ودرَّس وأفتى وألَّف في الفقه والحديث والعقيدة حتى نال إعجاب من اجتمع به أو استمع إلى دروسه ومناظراته ، أو قرأ شيئاً من مؤلَّفاته ، ومؤلَّفاته تدلُّ على سعة أُفقه وإدراكه في علوم الشريعة ، وسعة اطلاعه وفهمه ، ولم يقتصر فيما ذكر في تلك المؤلفات على كتب ابن تيمية - كما يظن الجاهل أو المتجاهل - بل كان ينقل آراء الأئمة الكبار في الفقه والتفسير والحديث ؛ مما يدل على تبحُّره في العلوم ، وعمق فهمه ، ونافذ بصيرته ، وها هي كتبه المطبوعة المتداولة شاهدة بذلك والحمد لله ، ولم يكن رحمه الله يأخذ من آراء شيخ الإسلام ابن تيمية ولا من آراء غيره إلا ما ترجَّح لديه بالدليل ، بل لقد خالف شيخ الإسلام في بعض الآراء الفقهية .

٣ ـ ثم قال عمَّن أسماهم بالوهابيَّة : «وإنهم في الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئاً عما جاء به ابن تيمية ولكنهم شدَّدوا فيه أكثر مما شدَّد ، ورتَّبوا أموراً علمية لم يكن قد تعرَّض لها ابن تيمية ؛ لأنها لم تشتهر في عهده ، ويتلخَّص ذلك فيما يأتي :

أ ـ لم يكتفوا بجعل العبادة كما قررها الإسلام في القرآن والسنة ، وكما ذكر ابن تيمية ، بل أرادوا أن تكون العادات أيضاً غير خارجة على نطاق الإسلام ، فليلتزم المسلمون ما التزم ، ولذا حرَّموا الدخان ، وشدَّدوا في التحريم ، حتى إن العامة منهم يعتبرون المدخن كالمشرك ، فكانوا يشبهون الخوارج الذين يكفِّرون مرتكب الذنب .

ب ـ وكانوا في أول أمرهم يُحرِّمون على أنفسهم القهوة وما يماثلها ، ولكن يظهر أنهم تساهلوا فيها فيما بعد .

ج ـ أن الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجردة ، بل عمدت إلى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم ، باعتبار أنهم يحاربون البدع ، وهي منكر تجب محاربته ، ويجب الأخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

د ـ أنها كانت كلما مُكِّن لها من قرية أو مدينة أتت على الأضرحة هدماً وتخريباً .

هـ ـ أنهم تعلَّقوا بأمور صغيرة ليس فيها وثنية ولا ما يؤدي إلى وثنية ، وأعلنوا استنكارها ؛ مثل التصوير الفوتغرافي ، ولذلك وجدنا ذلك في فتاواهم ورسائلهم التي كتبها علماؤهم .

و ـ أنهم توسَّعوا في معنى البدعة توسُّعاً غريباً ، حيث إنهم ليزعمون أن وضع الستائر على الروضة الشريفة أمرٌ بدعيٌّ ، ولذلك منعوا تجديد الستائر عليها . . . » . إلى أن قال :

«وإننا لنجد فوق ذلك منهم مَن يعدُّ قول المسلم :

(سيدنا محمد) بدعة لا تجوز ، ويغلون في ذلك غُلواً شديداً» .

إلى أن قال : «وإنه يلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون في آرائهم الصواب الذي لايقبل الخطأ وفي آراء غيرهم الخطأ الذي لا يقبل التصويب ، بل إنهم يعتبرون ما عليه غيرهم مِن إقامة الأضرحة والطواف حولها قريباً مِن الوثنية» . انتهى ما قاله في حق مَن سماهم الوهابية ، ويظهر أنه امتلأ صدره غِلًّا وحقداً وغيظاً عليهم ، فتنفس الصعداء بإفراغ بعض ما عنده ، والله سبحانه مُطَّلِعٌ على كل قائل وقلبه :

﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ . «سورة ق ١٨»

وجوابنا عن ذلك من وجوه :

الوجه الأول : قوله : «إنهم في الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئاً عما جاء به ابن تيمية» ؛ معناه أن ابن تيمية في نظره جاء بعقائد

ابتدعها مِن عنده ، وأن الوهابية عدُّوه مُشرِّعاً .

وقد سبق الجواب عن هٰذه الفرية ، وبيَّنا أن شيخ الإسلام ابن تيمية لم يبتدع شيئاً مِن عنده ، بل كان على عقيدة السلف الصالح مِن الصحابة والتابعين والقرون المفضلة ، لم يستحدث شيئاً مِن عنده ، وإننا نتحدَّى كل مَن يقول مثل هٰذه المقالة الظالمة أن يبرز لنا مسألة واحدة خالف فيها شيخ الإسلام ابن تيمية مَن سبقه من سلف الأمة ، غاية ما في الأمر أنه جدَّد عقيدة السلف ، ونشرها ، وأحياها بعدما اندرست ونسيها الكثيرون .

ونقول أيضاً : إن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب وغيره من أئمة الدعوة لم يقتصروا على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ، بل استفادوا منها ومن غيرها من الكتب السليمة المفيدة المتمشِّية على منهج السلف ؛ يعرف هٰذا مَن طالع كتبهم .

الوجه الثاني : أن قوله : «لم يكتفوا بجعل العبادة كما قررها الإسلام في القرآن والسنة» فرية عظيمة واتهام خطير لعلماء دعوة التوحيد في نجد بأنهم ابتدعوا عبادات لم يشرعها الله ورسوله .

ولكن الله فضحه وبيَّن كذبه ، حيث لم يجد مثالاً لما قال إلا تحريم الدخان ، وهٰذا مما يدلُّ على جهله ؛ فإن تحريم الدخان ليس من قسم العبادات والعقائد ، وإنما هو من قسم الأطعمة والحلال والحرام والفروع . وأيضاً فإن تحريم الدخان لم يختصَّ به علماء

الـدعـوة في نجـد ، بل حرَّمـه غيرهم من علماء الأُمة ؛ لخبثه وضرره ، وها هي الآن تقام أنشطة مكثَّفة للتحذير مِن شرب الدخان وتوعية الناس بأضراره مِن قِبل المنظمات الصحية العالمية .

وقوله : «حتى إن العامَّة منهم يعتبرون المدخن كالمشرك» .

هٰذه فرية أُخـرى ، ولـو صح أن أحداً مِن العامة حصل منه ذلك ، فالعاميُّ ليس بحجة يُعاب به أهل العلم ، ولكن عوامَّ أهل نجد ـ والحمد لله ـ يعرفون من الحق أكثر مما يعرفه علماء الضَّلالة ، يعرفون ما هو الشرك وما هو المحرَّم الذي لا يُعَدُّ شركاً بما يقرأون وما يسمعون من دروس التوحيد وكتب العقائد الصحيحة .

الوجه الثالث : قوله :

«كانوا في أول أمرهم يحرِّمون القهوة وما يماثلها» .

نقول : هٰذا كذب ظاهر ، ولم يأت بما يُثْبِت ما يقول ، وما زال علماء نجد وعامتهم يشربون القهوة في مختلف العصور ، وهٰذه كتبهم وفتـاواهم ليس فيهـا شيء يؤيد ما يقـوله ، بل فيها ما يكذِّبه ؛ فإن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله أنكر على مَن قال بتحريم القهوة من الجهال ، وردَّ عليه ، وله في ذلك رسالة مطبوعة مشهورة .

الوجه الرابع : قوله : «إن الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجرَّدة ، بل عمدت إلى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم باعتبار أنهم يحاربون البدع» .

أقول : **أولاً** : قوله : «إن الوهابية لم تقتصِر على الدعوة المجرَّدة» يدل على جهله ، فإن الدعوة المجرَّدة لا تكفي مع القدرة على مجاهدة أعداء الإسلام ؛ لأن الرسول ﷺ جاء بالدعوة والجهاد في سبيل الله .

ثانياً : قوله : «إنهم حملوا السيف لمحاربة مَن خالفهم» .

هذا كذب عليهم ؛ فإنهم لم يحاربوا خصومهم لمجرد مخالفتهم ، بل حاربوهم لأحد أمرين : إما للدفاع عن أنفسهم إذا اعتدى عليهم أحد ، وإما لإزالة الشرك إذا احتاجت إزالته إلى قتال ، وتاريخ غزواتهم شاهدٌ بذلك ، وهو مطبوعٌ متداوَل في أكثر من كتاب .



الوجه الخامس : قوله : «إنها كانت كلَّما مُكِّنَ لها من قرية أو مدينة ؛ أتت على الأضرحة هدماً وتخريباً» .

أقــول : هٰذا من فضــائلهــم ، وإن عدَّه هو وأضرابــه من معايبهم ؛ لأنهم ينفِّذون بذلك وصية رسول الله ﷺ بقوله لعلي رضي الله عنه : «**لا تَدَعْ قبراً مُشرفاً إلا سوَّيتَه**» . «رواه مسلم»

فأي عيب في ذلـك إذا أزالـوا مظاهـر الوثنية ، وعملوا بالسنة النبـوية ؟ ولكن أهل الجهل والضلال لا يعلمون ، فيعتقدون الحسن قبيحـاً ، والقبـح حسنـاً ، والمنكر معروفاً ، والمعروف منكراً ، وقد تكاثرت الأدلة على تحريم البناء على القبور لأن ذلك من وسـائل الشرك ، فلا بدَّ من هدم الأضرحة وإزالة مظاهر الوثنية ، وإن غضب أبو زهرة وأضرابه ممَّن يَرَون بقاء الأضرحة التي هي منابت الوثنية وأوكارها .

الوجه السادس : قوله : «إنهم تعلَّقوا بأمور صغيرة» ، ثم مثَّل لذلك بتحريم التصوير الفوتغرافي ، والجواب عن ذلك :

أولاً : إن التصـوير ليس من الأمـور الصغـيرة ، بل هو من كبائر الذنوب ؛ للأحاديث الصحيحة في النهي عنه ، والتحذير منه ، ولعن المصــورين ، والإخبــار بأنهم أشـد النـاس عذابـاً يوم القيامـة ؛ من غير تفريق بين التصوير الفوتغرافي وغيره ، ومَن

فرَّق ؛ فعليه الدليل ، والمحذور في التصوير والتعليل الذي حُرِّمَ من أجله متحقِّقان في جميع أنواع الصور الفوتغرافية وغيرها .

وثانياً : قوله : «إن التصوير لا يؤدِّي إلى وثنية» قول مردود ؛ لأن التصوير من أعظم الوسائل التي تؤدِّي إلى الوثنية ، كما حصل لقوم نوح لما صوَّروا الصالحين ، وعلّقوا صوَرهم على مجالسهم ، وآل بهم الأمر إلى أن عبدوا تلك الصور ، كما ورد ذلك في «صحيح البخاري وغيره عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَقَالوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُم ولاَ تَذَرُنَّ وَدّاً ولا سُوَاعاً ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً وقد أضلوا كثيراً ﴾ . «نوح آية ٢٣»

الوجه السابع : قوله : «إنهم توسَّعوا في معنى البدعة توسُّعاً غريباً ، حتى إنهم ليزعمون أن وضع ستائر على الروضة الشريفة أمرٌ بدعيٌّ ، ولذلك منعوا تجديد الستائر عليها» .

والجواب عن ذلك أن نقول :

أولاً : هو لا يدري ما هي الروضة الشريفة ، فيظن أنها الحجرة النبوية ، وليس الأمر كذلك :

فالروضة في المسجد ، وهي ما بين منبر النبي ﷺ وبيته لقوله ﷺ : **(ما بين بيتي ومنبري روضة مِن رياض الجنة)** . «متفق عليه»

والحجرة النبوية خارج الروضة ، وكانت خارج المسجد قبل

التوسعة التي أجراها الوليد بن عبدالملك .

ثانياً : الروضة لا يمكن وضع ستائر عليها ، ولا يُتَصَوَّر، وإنما يقصد الحجرة النبوية؛ يريد أن تُجعل مِثلَ الأضرحة القبورية، فتُجعل عليها الستور كما على الأضرحة، وهذا لا يجوز لأمرين :

١ ـ لأنه لم يكن مِن عمل السلف الصالح مِن الصحابة والتابعين والقرون المفضلة ، فلم يكن عليها ستائر في وقتهم .

٢ ـ لأنه وسيلة إلى الشرك ، بل ستر سائر الحيطان عموماً إسراف لا ينبغي فعله . قال في «المغني» (٧ / ٩) :

«فأما ستر الحيطان بستور غير مُصَوَّرة ؛ فإن كان لحاجة مِن وقاية حَر أو بَرد فلا بأس لأنه يستعمله في حاجته ، فأشبه الستر على الباب وما يلبسه على بدنه ، وإن كان لغير حاجة ؛ فهو مكروهٌ وعذرٌ في الرجوع عن الدعوة (يعني : إلى الوليمة) .



الوجه الثامن : قوله : «وإنا لنجد فوق ذلك منهم مَن يعدُّ قول سيدنا محمد بدعة لا تجوز ، ويغلون في ذلك غلواً شديداً» .

والجواب عن ذلك نقول : هٰذا كذب من القول ، فعلماء الدعوة يثبتون ما ثبت للنبي ﷺ من الصفات الكريمة ، ومنها أنهم يعتقدون أنه سيد ولد آدم ، وأفضل الخلق على الإطلاق ، لكنهم يمنعون الغلوَّ في حقه ﷺ ؛ عملاً بقوله ﷺ :

«لا تطْروني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريم» . «رواه البخاري»

ويمنعون الابتداع ، ومن ذلك أن يقال : (سيدنا) في المواطن التي لم يرد قول ذلك فيها ؛ كالأذان والإقامة ، والتشهد في الصلاة ، وكذا رفع الأصوات قبل الأذان ؛ يقول : اللهم صل وسلم على سيدنا رسول الله ، أو بعد أداء الصلوات ؛ كما يفعله المبتدعة بأصوات جماعية ، وهٰذا هو الذي أظنه يقصده في كلامه ، حيث يراه يُفعل عندهم ، فظنَّه مشروعاً وهٰذا هو الذي ينكره علماء الدعوة في المملكة العربية السعودية ، وينكره غيرهم من أهل التحقيق والعمل بالسنة وترك البدعة في كل مكان ؛ لأنه بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وغلو في حقه ﷺ ، والغُلو ممنوع .

أما قول سيدنا رسول الله في غير مواطن البدعة ؛ فعلماؤنا لا

ينكرونه ، بل يعتقدونه ، ويقولون : هو سيدنا وإمامنا ﷺ .

الوجه التاسع : قوله : «وفي سبيل دعوتهم يُغلِظون في القول ، حتى إن أكثر الناس ، لينفرون منهم أشد النفور» .

والجواب عن ذلك أن نقول :

أولاً : هذا الكلام مِن جملة الاتهامات التي لا حقيقة لها ، وهذه كتب علمائنا ورسائلهم والحمد لله ليس فيها تغليظ ؛ إلا فيما يُشرع فيه التغليظ ، وليس فيها تنفير ، وإنما فيها الدعوة إلى الله بالبصيرة والحكمة والموعظة الحسنة ، وكتبهم في ذلك مطبوعة ومتداولة ومنتشرة ، وكل من اتصل بهم ؛ فإنه يُثني عليهم ، وقد كتب المنصفون عنهم الشيء الكثير في تاريخهم الماضي والحاضر ، من حسن السياسة ، وصدق المعاملة ، والوفاء بالعهود ، والرفق بالمسلمين ، وأكبر شاهد على ذلك مَن يفد إلى مكة المشرَّفة للحج والعمرة كل عام ، وما يشاهدونه مِن العناية بخدمة الحجيج ، وبذل المجهود في توفير راحتهم ، مما أطلق الألسنة والأقلام بالثناء عليهم وعلى حكومتهم ، وكذلك مَن يفدون إلى المملكة للعمل فيها يشهد أكثرهم بذلك .

ثانياً : وأما قوله : «حتى إن أكثر الناس لينفرون منهم أشد النفور» فهو من أعظم الكذب وخلاف الواقع ؛ فإن الدعوة التي قاموا بها في عهد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله إلى هذا العهد ـ

وهي الـدعوة إلى الإسلام ، وإخلاص التوحيد ، والنهي عن الشرك والبـدع والخـرافات ـ قد لاقت قبولاً في أرجاء العالم ، وانتشرت انتشاراً واسعاً في كثير من الأقطار ، وما هو على صعيد الواقع الآن أكبر شاهد وأعظم دليل على ما ذكرنا .

ويتمثـل ذلـك فيما تبـذلـه الحكومة السعودية التي هي حكومة الدعوة ـ أدام الله بقاءها وسدَّد خطاها ـ بتوجيه من علمائها ورغبة من حكامها بفتح الجامعات الإسلامية التي تخرج الأفواج الكثيرة من أبناء العالم الإسلامي على حسابها .

ويتمثَّـل ذلك أيضاً في إرسال الدعاة إلى الله في مختلف أرجاء العـالم ، وفي توزيع الكتب المفيدة ، وبـذل المعونات السخية للمؤسسـات الإسـلامية ، ومـد يد العون للمعوزين في العالم الإسلامي ، وإقامة المؤتمرات والندوات ، وبناء المساجد والمراكز الإسلامية ؛ لتبصير المسلمين بدينهم ، مما كان له أعظم الأثر والقبول الحسن ـ والحمد لله ـ.

وهٰذا واقع مشاهد ، وهو يبطل قول ذلك الحاقد :

«إن أكثر الناس لينفرون منهم أشد النفور»

لكن كما قال الشاعر :

لِي حِيْـلَةٌ فيـمَـن يَنُـ ـمُّ وما لي في الكَذَّاب حِيلَهْ
مَنْ كَانَ يَخْلُقُ مَا يَقُـو لُ فَحِيـلَتِي فيـهِ قَليـلَهْ

الوجه العاشر : قوله : «وإنه يُلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون في آرائهم الصواب الذي لا يقبل الخطأ ، وفي رأي غيرهم الخطأ الذي لا يقبل التصويب» .

والجواب عنه أن نقول : هٰذا من جنس ما قبله من التهجُّم الكاذب الذي لا حقيقة له ، فهٰذه كتب علمائنا ومناقشاتهم لخصومهم ليس فيها شيء مما ذكره ، بل فيها ما يكذِّبه به من بيان الحق وتشجيع أهله ، ورد الباطل بالحجة والبرهان ، ودعوة أهله إلى الرجوع إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولم يدَّعوا لأنفسهم العصمة من الخطأ ، ويرفضوا ما عند غيرهم من الصواب ؛ كما وصمهم بذلك .

وهٰذا إمامهم وكبيرهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله يقول في إحدى رسائله التي وجهها لخصومه :

«وأرجو أني لا أردُّ الحق إذا أتاني ، بل أُشهِدُ الله وملائكته وجميع خلقه إن أتانا منكم كلمةٌ مِن الحق ؛ لأقبلنَّها على الرأس والعين ، ولأضربنَّ الجدارَ بكل ما خالفها من أقوال أئمتي ، حاشا رسول الله ﷺ ، فإنه لا يقول إلا الحق» انتهى .

وكلهم والحمد لله على هٰذا المنهج الذي قاله الشيخ .

الجهـــل بالوثنيـــة

الوجه الحادي عشر : قوله : «بل إنهم يعتبرون ما عليه غيرهم من إقامة الأضرحة والطواف حولها قريباً من الوثنية» .

والجـواب عنـه أن نقـول : كلامه هذا يدل على جهله بمعنى الـوثنيَّة ، فلم يدر أنها تتمثـل في تعـظيم القبـور بالبناء عليها والطواف حولها وطلب الحوائج من أصحابها والاستغاثة بهم ، فلذلك استغرب استنكار ذلك واعتباره من الوثنية !!

وكأنه لم يقرأ ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية من استنكار الاستشفاع بالموتى ، واتخاذهم أولياء ، لِيُقربوا إلى الله زلفى ، ولم يقـرأ نهيَ الـرسـول ﷺ عن البنـاء على القبـور ، واتخاذها مساجد ، ولعنَ مَن فعل ذلك !! وإذا لم تكن إقامة الأضرحة والطواف حولها وثنية فما هي الوثنية ؟

لكن كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

«تُنْقَض عُرى الإسـلام عُروة عُروة إذا نشأ في الإسلام مَن لا يعرف الجاهلية» .

ألم يكن شركُ قوم نوحٍ متمثِّلاً في دعاء الأموات ؟

ألم تكن اللاَّت ضريحاً لِرَجل صالح كان يَلُتُّ السويق للحاج ، فلما مات عكفوا على قبره ، وطافوا حوله ؟!

ولو كان هٰذا الكلام صادراً عن عاميٍّ لا يعرف الحكم ؛ لهان

الأمـر، لأن العامي جاهل ، وتأثيره على الناس محدود ، لكن الذي يؤسفنا أن يكون صادراً عمَّن يدعي العلم ، وقد صدرت عنه مؤلفات كثيرة ؛ فهٰذا قد يكون تأثيره على الناس ـ خصوصاً محدودي الثقـافـة ـ شديداً ؛ نظراً لكثـرة مؤلفـاتـه ، وسمعته الواسعة ، وإحسان الظن به .

ولكن الحق سينتصر بإذن الله :

﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ . «سورة الرعد ١٧»

والعلم لا يقاس بكثرة الإصدارات ، وإنما يُقاس بمدى معرفة الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، والعمل بذلك .

وإلا فكيف يُتصوَّر مِن مسلم ـ فضلاً مَن ينتسب إلى العلم ـ أن يتفوَّه بأن الطواف بالأضرحة ليس مِن الوثنية ؟!

أليس الطواف عبادة ، وصرف العبادة لغير الله وثنية وشرك ؟!

فالـطائف بالأضرحة إن كان قصده التقرب إليها بذلك ؛ فلا شك أن هذا شرك أكبر ؛ لأنه تقرَّب بالعبادة إلى غير الله ، وإن كان قصده بالطواف حول الضريح التقرُّب إلى الله وحده فهٰذه بدعـة ووسيلة إلى الشرك لأن الله لم يَشرع الـطوافَ إلا حولَ الكعبة المشرفة ولا يُطاف بغيرها على وَجهِ الأرض .

هٰذا وإننا ندعو كل مَن بلغه شيء مِن تشويه دعوة الشيخ محمد

ابن عبدالوهاب أو قرأ شيئاً من الكتب التي تُروِّج هٰذا التشويه ؛ أمثال كتب الشيخ محمد أبي زهرة ؛ فعليه أن يتثبَّت وأن يراجِع كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكتب العلماء الذين جاءوا مِن بعده وحملوا دعوته ؛ ليرى فيها تكذيب تلك الشائعات ، وقد قال الله تعالى :

﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بنَبأٍ فتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُم نَادِمينَ ﴾ . «الحجرات آية ٦»

وكُتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكُتب علماء الدعوة مِن بعده ميسورة والحمد لله ،وهي توزَّع على أوسع نطاق ، عن طريق الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ومكاتبها في الداخل والخارج ، وفي موسم الحج كل سنة ، وهي لا تدعو إلى مذهب معين أو نحلة محدثة ، وإنما تدعو إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ومذهب أهل السنة والجماعة ، ونبذ البدع والخرافات ،والاقتداء برسول الله ﷺ ، وسلف الأمة ، والقرون المفضلة .

وصلى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين .



مناقشة حول الوهابية

قال الدكتور عبد العزيز بن عبد اللطيف:

وأذكر أنني كنت في زيارة إلى ماليزيا للمشاركة في ندوة . . فقال لي مرة أحد القضاة هناك : أنتم تدرسون في بلادكم العقيدة الوهابية ، قلت له : المذهب الفقهي السائد في المملكة هو المذهب الحنبلي ، والمرجع الرئيس في كليات الشريعة وأصول الدين ، وهي الكليات التخصصية ، والمتخرجون منها يتولون تدريس «**الاعتقاد**» في المراحل الإعدادية والثانوية .

المرجع الرئيس هو العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي . . وشرحه للإمام علي بن علي بن أبي العز الحنفي . . فأنت ترى أن صاحب المتن والشرح هم من علماء الحنفية ، ولا ضير في ذلك ، لأنه ليس للإمام أبي حنيفة مذهب يختلف عما عند أخيه الإمام أحمد كما ليس للإمام مالك والشافعي وسائر الأئمة مذهب يختلف عن مذهب أبي حنيفة وأحمد ، والجميع أسرة واحدة وأصحاب اعتقاد واحد . . لأن موردهم واحد ، ومشربهم واحد . . وكذا الحال بالنسبة لمعتقد الإمام محمد بن عبدالوهاب .

ولو جاء واحد من هؤلاء ـ وحاشاه ـ بقول مبتدع من عنده يخالف قول الله أو قول رسوله أو إجماع السلف لضربنا بقوله عُرض الحائط . . وأخذنا بقول الله ورسوله . . وإلا تعرضنا لسخط الله ومقته .

ولو رجع هؤلاء إلى كتب الأئمة ذاتها لتجلى لهم الأمر ولتبين لهم أنها الدسائس المغرضة التي شوهت الحقيقة عندهم ، والتلبيس الذي أرخى بسدوله المظلمة على وجه الحق البين .

وأذكر أنني دخلت مرة على الأستاذ «عبدالجليل شلبي» مدير تحرير مجلة الأزهر إبان تحضيري لأطروحة علمية عن التقريب بين السنة والشيعة عام ١٣٩٩هـ وجرى حديث عن موضوع الشيعة والسنة ، فقال لي : وصيتي إليك ألا تأخذ مذهب طائفة إلا مِن كُتبها ومصادرها المعتمدة عندها ، فلقد أتى عليَّ حين مِن الدهر كنت أظن في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الظنون ، بل كنت أعُدها من فئاتِ الخوارج ، فلما رجعت إلى مصادرهم تجلت لي الحقيقة ، وأسفر الليل عن صبحه . . فإذا بي واهِمٌ وأن هذه الدعوة هي دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ودعاوى وتقولات المبتدعة على بعض الأئمة أو مذاهبهم كثيرة [1] وما أسهل الدعوى ، ولكن العبرة بصدق الأقوال باقترانها بالبرهان الذي يشهد بصحتها .

---

(١) راجع : كتاب [دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب] للدكتور عبدالعزيز بن عبداللطيف .



معتقد السلفية

١ ـ كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب حنبلي المذهب في دراسته لكنه لم يكن يلتزم ذلك في فتاواه إذا ترجح لديه الدليل فيما يخالفه ، وعليه فإن دعوة الشيخ سلفية في أصولها حنبلية في فروعها[1] .

٢ ـ دعت إلى فتح باب الاجتهاد بعد أن ظَلَّ مُغلقاً منذ سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ .

٣ ـ أكدت على ضرورة الرجوع إلى الكتاب والسنة ، وعدم قبول أي أمر في العقيدة ما لم يستند إلى دليل مباشر وواضح منهما .

٤ ـ اعتمدت منهج أهل السنة والجماعة في فهم الدليل والبناء عليه .

٥ ـ دعت إلى تنقية مفهوم التوحيد مطالبة المسلمين بالرجوع به إلى ما كان عليه المسلمون في الصدر الأول للإسلام .

٦ ـ توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات الأسماء والصفات التي أثبتها الله لنفسه وما أثبتها رسوله ﷺ له من غير تمثيل ولا تكييف ولا تأويل .

٧ ـ التركيز على مفهوم توحيد العبودية :

﴿ أنِ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ . «النحل ١١٦»

---

(١) إن الدعوة السلفية تقوم على الدليل حتى في الفروع عملاً بقول الأئمة المجتهدين : (إذا صح الحديث فهو مذهبي) .

٨ ـ إحياء فريضة الجهاد ، فقد كان الشيخ صورة للمجاهد الذي يمضي في فتح البلاد ينشر الدعوة ويزيل مظاهر الشرك التي انحدر إليها الناس .

٩ ـ القضاء على البدع والخرافات التيكانت منتشرة آنذاك بسبب الجهل والتخلف من مثل :

أ ـ زيارة قبر يزعمون أنه قبر الصحابي ضِرار بن الأزوَر وسؤاله قضاء الحاجات .

ب ـ زيارة قبة يقولون إنها لِزيد بن الخطاب .

جـ ـ التردد على شجرة يقولون إنها شجرة أبي دجانة وأُخرى تسمى الطرفية .

د ـ زيارة مغارة تسمى مغارة بنت الأمير .

هـ ـ تقسيم التوسل إلى نوعين :

أ ـ توسل مرغوب فيه وهو ما كان بأسماء الله الحسنى أو بالعمل الصالح

ب ـ توسل مبتدع منهي عنه وهو ما كان بالذوات الصالحة «بجاه الرسول ، بحرمة الشيخ فلان . .» .

١٠ ـ منع بناء القبور وكسوتها وإسراجها وما إلى ذلك من البدع التي تصاحبها .

١١ ـ التصدي لشطحات الطرق الصوفية ولما أدخلوه على الدين من أشياء لم تكن فيه من قبل .

١٢ ـ تحريم القول على الله بلا علم :
﴿ وأَنْ تَقُولُوا على اللهِ مَا لا تَعلَمُونَ ﴾ . «الأعراف ٣٣»
١٣ ـ إن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجبه أو يستحبه أو يكرهه :
﴿ يآ أَيُّهَا الَّذين آمَنوا لا تَسْأَلوا عَنْ أَشْياءَ إن تُبْدَ لَكُم تَسُؤكُم وإن تَسْأَلوا عَنْها حينَ يُنَزَّلُ القُرآنُ تُبْدَ لَكُم ﴾
«المائدة آية ١٠١»
١٤ ـ إن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج .
﴿ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعون مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْويلِهِ ﴾ . «آل عمران ٧»
١٥ ـ إن النبي ﷺ ذكر أن الحلال بيِّن والحرام بيِّن وبينهما أمور متشابهات فمن لم يفطن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم عن كل مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل .
١٦ ـ ذكر الشيخ في بيانه لأنواع الشرك ومراتبه أنه :
أ ـ شرك أكبر : وهو شرك العبادة والقصد والطاعة والمحبة .
ب ـ شِرك أصغر : وهو الرياء لقوله ﷺ :
(إنَّ يَسيرَ الرِّياءِ شِرْكٌ) «ضعيف : انظر ضعيف سنن ابن ماجة ص٣٢٠»
جـ ـ شِرك خَفِي : قد يقع فيه المؤمن وهو لا يعلم كما قال النبي ﷺ :

(الشِّرْك في أُمَّتي أخفى مِن دَبيب النمل على الصَّفا)

« صحيح : انظر صحيح الجامع رقم ٣٧٣٠ »

١٧ ـ لقد عملت هذه الدعوة على إيقاظ الأمة الإسلامية فكرياً بعد أن رانت عليها سجف من التخلف والخمول والتقليد الأعمى .

١٨ ـ العناية بتعليم العامة وتثقيفهم ، وتفتيح أذهان المثقفين منهم ولفت أنظارهم إلى البحث عن الدليل ودعوتهم إلى التنقيب في بطون أمهات الكتب والمراجع قبل قبول أَيَّةِ فكرة فضلاً عن تطبيقها .

١٩ ـ للشيخ مصنفات كثيرة أهمها (كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد) و (كتاب الإيمان) و (كشف الشبهات) و (آداب المشي إلى الصلاة) و (مسائل الجاهلية) و (مختصر السيرة النبوية) وعدد من المختصرات والرسائل التي تدور حول أمور فقهية وأصولية أكثرها في التوحيد .



ردود على أباطيل

١ ـ التقيت برجل في سورية يقول عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله إنه مبتدع مذهباً خامساً ويقصد المذاهب الأربعة .

قلت له : إن الشيخ مذهبه حنبلي معروف في كتبه ، فكيف تقول ذلك ؟ وهذا مِن الكذب والافتراء .

٢ ـ التقيت في مكة بدكتور يدرس في إحدى الجامعات فقال لي : سمعنا عنك يا شيخ محمد زينو أنك وهابي ! فقلت له : وماذا تعرف عن الوهابية ؟ قال لي : إنهم يقولون : العصا أفضل مِن محمد ! فقلت له أين وجدت هذا الكلام ؟ قال لي : سمعته مِن الناس ! قلت له : أنت رجل تُدرس في الجامعة ثم تأخذ بأقوال الناس ! مِثلك لا يفعل ذلك ، هذا لا يفعله إلا العوام ، فسكت ولم يُعط جواباً .

أقول : هذا من الافتراء على الوهابية الذي سيحاسبون عليه يوم القيامة ، وكلام الدكتور لا يقوله إلا حاقد ، أو جاهل ، وما أكثرهم في هذا الزمان ؟

٣ ـ كنت أتردد على بعض المشايخ في سورية ، فرأيت منه استجابة لدعوة التوحيد بعد أن أقمت عليه الحجة في قول الله تعالى :

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ، أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ

الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ ويَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً ﴾ . «سورة الإسراء آية ٥٦»

وأن الآية نزلت في حق ناس من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا .

وفي رواية : كان ناسٌ مِن الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن ، وتمسك هؤلاء بدينهم . «رواه البخاري وانظر تفسير ابن كثير»

وبعد فترة قال لأتباعه : الوهابية نصف كفار ! لأنهم لا يؤمنون بالأرواح !

أقول : لقد خاف الشيخ على منصبه فافترى على الوهابية بأنهم لا يؤمنون بالأرواح ، والصحيح أنهم يؤمنون بالأرواح ، ولكن ينكرون أن يكون لها تصرفات تنفع غيرها أو تضر ، لأن هذا لله وحده ، وفي الحديث :

«**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا مِن ثلاث : صدقة جارية ، أو عِلم يُنتفع به ، أو وَلد صالح يدعو له**» . «رواه مسلم»

٤ ـ كان أحد العلماء يطعن في الشيخ محمد بن عبدالوهاب في درسه ، فقدّم إليه أحد طلابه كتاباً للشيخ المذكور بعد أن نزع غلافه ، فقرأه الشيخ وأُعجب به ، فقال له الطالب : هذا الكتاب للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فندم على عمله وبدأ يمدح الشيخ حينما رأى كلامه موافقاً للكتاب والسنة .

الجذور الفكرية والعقائدية :

- لقد تَرَسَّمَ الشيخ في دعوته أعلاماً ثلاثة استَنَّ طريقتَهم وهم :

١ ـ الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) .

٢ ـ ابـــن تيميـــــة (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) .

٣ ـ محمد بن قيم الجوزية (٦٩١ ـ ٧٥١هـ) .

- فكانت دعوته صدى لأفكارهم وترجمة لأهدافهم في واقع عملي .

الانتشار ومواقع النفوذ :

١ ـ انتشرت العقيدة السلفية مع الحكم السعودي في بلدان نجد ، وقد دخلت الرياض سنة ١١٨٧هـ كما واصلت انتشارها في أرجاء الجزيرة العربية ودخلت مع الحكم السعودي مكة المكرمة عام ١٢١٩هـ والمدينة المنورة التي بايع أهلها عام ١٢٢٠هـ .

٢ ـ انتقلت الدعوة مع وفود الحجاج إلى خارج الجزيرة العربية .

٣ ـ لقد تركت هذه الدعوة بصماتها وآثارها على حركات الإصلاح التي قامت في العالم الإسلامي بعد ذلك .

٤ ـ من أراد المزيد من المعلومات فليقرأ كتاب :
آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب تأليف د/ **أحمد محمد الطيب** .

من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب

١ ـ كتاب « أصول الإيمان » .

٢ ـ الأصول الثلاثة وأدلتها : ضمن مجموعة :

ثلاثة الأصول وأدلتها ، ويليها شروط الصلاة وأركانها وواجباتها ، وأربع قواعد .

٣ ـ التوحيد الذي هو حق الله على العبيد .

٤ ـ ثلاث مسائل في طلب العلم .

٥ ـ خُطب شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب .

٦ ـ الرد على الرافضة .

٧ ـ مختصر زاد المعاد .

٨ ـ مختصر السيرة النبوية .

٩ ـ مسائل الجاهلية .

١٠ ـ كشف الشبهات .

١١ ـ معنى الطاغوت .

١٢ ـ الجامع لعبادة الله وحده .

١٣ ـ تفسير كلمة التوحيد .

١٤ ـ تلقين أصول العقيدة العامة .

١٥ ـ المسائل الأربع .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب
في مرآة علماء الشرق والغرب

١ ـ محمد رشيد رضا :

قال في التعريف بكتاب : **(صيانة الإنسان)** :

لم يخل قرن من القرون التي كثر فيها البدع من علماء ربَّانيِّين عدول يُجددون لهذه الأمة أمر دينها . . .

ولقد كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب من هؤلاء العدول المجددين ، قام يدعو إلى تجريد التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ، وترك البدع والمعاصي .

٢ ـ طه حسين :

قال في المحاضرات الأدبية في جزيرة العرب :

« . . . هذه الحركة الإصلاحية التي أحدثها محمد بن عبدالوهاب شيخ من شيوخ نجد . . . دعوة قوية إلى الإسلام الخالص النقي المطهَّر من شوائب الشرك والوثنية » .

٣ ـ محمد بن إسماعيل الصنعاني :

«صاحب : سُبل السلام» بعد أن بلغته دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب أثنى عليه بقصيدة رائعة جاء فيها :

سلامي على نجد ومَن حَل في نجدِ وإن كان تسليمي على البُعد لا يُجدي

وقد صدرت مِن سَفح صنعا سقىٰ الحيا رُبَاهـا وحَياهـا بقهقهة الرعدِ

قفي واسألي عن عالمٍ حل سُوحها ... به يهتدىٰ مَن ضل عن منهج الرشد

محمـد الهـادي لِسُنَّـةِ أحمـد ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي

لقد أنكرَتْ كل الطوائف قوله ... بلا صدر في الحق منهم ولا وِردِ

ومـا كل قول بالقبـول مقـابـل ... وما كل قول واجب الرد والطرد

سوىٰ ما أتى عن ربنـا ورسوله ... فذلـك قول جَل ياذا عن الـرد

وأمـا أقـاويـل الـرجـال فإنها ... تدور على قدر الأدلـة في النقد

وقـد جاءت الأخبـار عنـه بأنه ... يُعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي

وينشر جهراً ما طوىٰ كل جاهـل ... ومبتـدِع منه ، فوافق ما عندي

٤ ـ قال محمد حامد الفقي :

الـوهـابية نسبـة إلى الإمـام المصلح شيخ الإسـلام محمـد بن عبدالوهاب مجدد القرن الثاني عشر ، وهي نسبة على غير القياس العربي والصحيح أن يقال المحمدية ، لأن اسم صاحب هذه الدعوة والقائم بها هو محمد ، لا عبدالوهاب . ثم قال بعد كلام :

وإن الحنابلة متعصبون لمذهب الإمام أحمد في فروعه ككل أتباع المذاهب الأخرىٰ ، فهم لا يَدَّعون ، لا بالقول ، ولا بالكتابة أن الشيخ ابن عبدالوهاب أتى بمذهب جديد ، ولا اخترع علماً غير ما كان عند السلف الصالح ، وإنما كان عمله وجهده إحياء العمـل بالدين الصحيح وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن في

توحيد الالـوهية والعبـادة لله وحده ذلاً ، وخضوعاً ، ودعاء ، ونذراً ، وحَلِفاً ، وتوكلاً . وطاعة شرائعه . وفي توحيد الأسماء والصفات ، فيؤمن بآياتها كما وردت ، لا يحرف ولا يؤول ، ولا يُشبَّه ، ولا يُمثل ، على ما ورد في لفظ القرآن العربي المبين ، وما جاء عن الرسول ﷺ ، وما كان عليه الصحابة وتابعوهم والأئمة المهتـدون ، من السلف والخلف رضوان الله عليهم في كل ذلك وأن تحقيق شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله لا يتم على وجهه الصحيح إلاَّ بهذا .

٥ ـ قال د / محمد تقي الدين الهلالي : في كتاب :

«محمد بن عبدالوهاب مُصلح مظلوم ومُفترىً عليه» :

لا يخفى أن الإمام الرباني الأواب محمد بن عبدالوهاب قام بدعوة حنيفية جددت عهد الرسول الكريم والأصحاب وأسس دولة ذكرت الناس بدولة الخلفاء الراشدين .

٦ ـ قال خير الدين الزركلي : في كتابه « الأعلام » :

محمد بن عبدالوهاب : زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العـرب . . . انتهج منهج السلف الصالح ودعا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من الأوهام .

٧ ـ **قال محمد خليل هراس** : في رسالته «الحركة الوهابية» :

إن صيانة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لكتب الإمام ابن تيمية وإحياءه لها تعتبر مفخرة من مفاخر هذا الشيخ ستظل تذكر له بالعرفان والتقدير ، فإن كتب شيخ الإسلام ورسائله كانت مطمورة تحت ركام الإهمال والنسيان ، لا يسمح لها أهل البدع والإلحاد أن ترى النور ، ولا أن تقوم بدورها الخطير في توجيه العالم الإسلامي نحو الطريق الصحيح .

بل كثيراً ما كانوا يحذرون من قراءتها ويقرنونها بكتب الفلاسفة في جواز الاستنجاء بها .

فلما قامت حركة الإمام محمد بن عبدالوهاب المباركة أخذت تُنقب عن تلك الثروة العظيمة التي خلَّفها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله تعالى .

وجدَّ المسؤولون عن هذه الدعوة في إبراز هذه الكنوز بالطبع والنشر .

٨ ـ **محمد عبده** : أثنى على الشيخ / محمد بن عبدالوهاب فوصفه بالمصلح العظيم ، ويُلقي تبعة وقف دعوته على الأتراك . . .

٩ ـ **قال محمد أبو زهرة** : في كتاب المذاهب الإسلامية :

ظهرت الوهابية في الصحراء العربية نتيجة للإفراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم وطلب القربى من الله بزيارتهم ونتيجة

لكثرة البدع التي ليست من الدين وقد سادت هذه البدع في المواسم الدينية والأعمال الدنيوية ؛ فجاءت الوهابية لمقاومة كل هذا وأحيت مذهب ابن تيمية .

١٠ ـ عبد العزيز بن باز :

قال هذا الشيخ الجليل في كتاب «**الشيخ محمد بن عبدالوهاب**» : «الحمد لله الذي مَنَّ على عباده في كل زمان فترة بإيجاد أئمة هدى يدعون الناس إلى الصراط المستقيم ، ويرشدونهم إلى الطريق القويم ويبصرون بكتاب الله أهل العمىٰ . ويصبرون منهم على الأذىٰ ينفون عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين ، يشرحون لهم حقيقة الدين ، ويكشفون لهم الشبه بواضحات البراهين ، وكان من جملة هؤلاء الأئمة المهتدين والمصلحين الإمام العلامة والحبر الفهامة الشيخ محمد بن عبدالوهاب طيب الله ثراه وأكرم في الجنة مثواه . . . استمر في الدعوة ودرس العلوم الشرعية وشجع على الجهاد بأنواعه وألف المؤلفات النافعة والرسائل المفيدة في بيان العقيدة الصحيحة ورد ما يخالفها بأنواع الأدلة والبراهين حتى ظهر دين الله وانتصر حزب الرحمن وذل حزب الشيطان ، وانتصرت العقيدة السلفية في الجزيرة العربية وما حولها .

١١ ـ قال أبو السمح عبد الظاهر المصري «إمام المسجد الحرام سابقاً» يمدح الشيخ محمد بن عبد الوهاب :

أسفي على الشيخ الإمام محمد ... حَبرِ الأنام العالم الرباني
علَم الهدىٰ بحر الندىٰ مُفني العدا ... مَن شن غارته على الأوثان
مَن قام في نجدٍ مقام نبوةٍ ... يدعو إلى الإسلام والإيمان
حتى غدت نجدٌ كروض مُزهر ... فنال في ظلل مِن العرفان
أحيا لنا الدين الحنيف كما أتى ... وأقامه بالسيف والبرهان
برهانه القرآن والسُنن التي ... تُروىٰ لنا عن سيد الأكوان
كم حارب الشركَ الخبيث وأهلَه ... وأذاقهم في الحرب كل هوان
وأبان توحيد العبادة بعدما ... دُرِسَت معالمه مِن الأذهان

١٢ ـ قال عباس محمود العقاد في كتابه «الإسلام في القرن العشرين» :

«وظاهرة من سيرة محمد بن عبدالوهاب أنه لقي في رسالته عنتاً فاشتد كما يشتد مَن يدعو غير سميع ؛ ومن العنت إطباق الناس على الجهل والتوسل بما لا يضر ولا ينفع . . . وقد عبرَ على البادية زمان يتكلمون فيه على التعاويذ والتمائم وأضاليل المشعوذين والمنجمين ويدَعون السعيَ مِن وجوهه توسلاً بأباطيل السحرة والدجالين حتى في الاستسقاء ودفع الوباء ، فكان حقاً على الدعاة أن يصرفوهم عن هذه الجهالة ، وكان مِن أثر الدعوة الوهابية أنها صرفتهم عن ألوان البدع والخرافات .

١٣ـ **قال علي الطنطاوي في كتابه :**

«الشيخ محمد بن عبدالوهاب» :

« . . . نشأ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ فرأى شمس الله له الخير فقدر له أن يكون أحد الذين أخبر الرسول أنهم يبعثون ليجددوا لهذه الأُمة دينها ، بل لقد كان أحق بهذا الوصف من كل من وصف به في تاريخنا . فقد حقق على يديه عودة نجد إلى التوحيد الصحيح ، والدين الحق . . . » .

١٤ ـ **قال د/ وهبه الزحيلي :**

«جهر ابن عبدالوهاب بدعوته سنة ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م فأمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر ، فكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله ؛ وقد وجه اهتمامه لمسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام والتي دخلها الفساد لدى كثير من الناس» .

١٥ ـ **قال مناع خليل القطان :**

بعد أن ذكر سوء الحالة الدينية والسياسية في نجد قال :

«ومضَ في الأفق بريقُ الأمل ، وأراد الله أن يُزيح الغُمة ويعيد للأُمة صفاء عقيدتها ، ويُخلصها مِن أوضار الشرك والجهالة ، ويُبدد غيوم اليأس والقنوط فارتفع صوت يُردد كلمة التوحيد التي بعث بها الرسل «لا إلٰهَ إلاَّ الله» . . . يحيى في النفوس العقيدة

الخالصة . . . ويدعوها إلى نبذ البدع والخرافات ، ويستقي لها من نبع الإسلام الصافي ومورده العذب القرآن والسنة ، وما كان عليه السلف .

كان هذا الصوت صوت الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي تجاويت أصداؤه في ربوع نجد وفي ديار الإسلام» .

١٦ ـ **محمد ناصر الدين الألباني** :

قال هذا المحدث الكبير رداً على المحتجين بالحديث التالي على ذم الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب : «عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : صَلىٰ رسول الله ﷺ الفجر ثم أقبل على القوم فقال : «**اللهم بارك لنا في مدينتا ، وبارك لنا في مدِّنا وصاعنا ، اللهم بارك لنا في حرَمنا ، وبارك لنا في شامنا**» فقال رجل : وفي العراق ؟ فسكت ، ثم أعاد ، فقال الرجل: وفي عراقنا فسكت . ثم قال : «**اللهم بارك لنا في مدينتا** . . .» ثم ذكر الحديث وقال : حديث صحيح ثم قال : ومما سبق ندرك مبلغ الحقد الدفين والبغض الحقير والافتراء الأثيم الذي يُكنه جماعة السوء لهذا الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ يرحمه الله تعالى ـ وأجزل ثوابه الذي أخرج الناس مِن ظلمات الشرك إلى نور التوحيد الخالص وقد اعتبروا ذلك مِن الفِتن ، ونسجوا حوله الأكاذيب والإشاعات المغرضة ، لِيَصرفوا الناس

عن هذه الدعوة .

وفي كلام بعض العلماء ما يُبين حال كثير من هذه الأُمة قبل الدعوة مِن الشرك القبيح فمِن ذلك قول عالم صنعاء محمد بن إسماعيل الصنعاني في قصيدة : (ذُكر منها سابقاً) .



أقوال المستشرقين

١ ـ دائرة المعارف البريطانية :

الوهابية اسم لحركة التطهير في الإسلام ؛ والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده (القرآن والسنة) ويُهملون كل ما سواها ، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح .

٢ ـ قال كبير المستشرقين «جولدسيهر» :

«إذا أردنا البحث في علاقة الإسلام السُني بالحركة الوهابية نجد أنه مما يسترعي انتباهنا خاصة مِن وجهة النظر الخاصة بالتاريخ الديني الحقيقة الآتية :

يجب على مَن ينصب نفسه للحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصاراً للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها النبي،فغاية الوهابية هي إعادة الإسلام كما كان .

٣ ـ وقال الكاتب الإنكليزي «برانجس» :

«لقد أشاع أعداء هذا الرجل العظيم وأتباعه بأنهم كفار ، إلَّا أن الحقيقة أنهم مُتبعون تماماً للكتاب والسنة وحركتهم حركة تطهير خالصة في الإسلام . كما أشاع هؤلاء الأعداء أنهم نَهوا الناس عن زيارة المدينة ، وهذا ليس بصحيح فإنهم نهوهم فقط عن ارتكاب الأعمال الشركية عند الروضة المطهرة ، كما نَهوا عنها عند

قبور الأولياء الآخرين» .

٤ ـ **قال المستشرق الفرنسي «هنري لاوست» :**

«إن السلفية لقبٌ على الحركة الوهابية لأنها أرادت إعادة الإسلام إلى صَفائه الأول في عهد السلف الصالح . إن هذه الحركة السلفية تتميز عن غيرها بأن نظرياتها أدنىٰ إلى العقل وأنها تفتح باب الاجتهاد وتكافح الخرافات والغُلو في الدين وتجتهد في التوفيق بين الدين وبين مطالب العصر» .



عقيدة المسلم

إن كان تابعُ أحمدٍ متوهِّباً … فأنا المقِرُّ بأنني وهَّابي

أنفي الشريك عن الإله فليسَ لي … ربٌّ سوى المتفردِ الوهاب

لا قبةٌ تُرجى ولا وثَنٌ ولا … قبرٌ له سببٌ من الأسباب

كلا ولا حجر ، ولا شجر ولا … عين(١) ولا نُصُبٌ من الأنصاب

أيضاً ولست مُعلِّقاً لتميمة (٢) … أو حَلْقة ، أو وَدعة أو ناب

لرجاء نفع ، أو لدفع بلية … الله ينفعني ، ويدفعُ ما بي

وَالابتداع وكلِ أمر مُحدَث … في الدين يُنكره أولو الألباب

أرجو بأني لا أقاربه ولا … أرضاه ديناً ، وهو غيرُ صواب

وأعوذ مِن جهمية (٣) عنها عَتتْ … بخلافِ كُل مُؤَوِّلٍ مُرتاب

والاستَواء (٤) فإن حسبيَ قدوةً … فيه مَقالُ السادةِ الأنجاب

الشافعي ومالكِ وأبي حنيـ … ـفةَ وابن حنبلِ التقي الأواب

وبعصرنا مَن جاء معتقداً به … صاحوا عليه مُجَسِّمٌ وهَّابي

جاء الحديث بغُربة الإسلام فلْـ … ـيَبكِ المحب لِغُربة الأحباب

---

(١) عين ما يغتسلون بها للتبرك والشفاء .

(٢) التميمة : الخرزة ونحوها وتوضع للحماية من العين .

(٣) الجهمية : فرقة ضالة تنكر أن الله في السماء ، وتقول إن الله في كل مكان .

(٤) الاستواء : هو العلو والارتفاع كما فسره التابعي مجاهد في البخاري .

فالله يحميـنـا ، ويَحفظ ديننـا مِن شرّ كل مُعـانـدٍ سَبَّاب
ويُؤيِّـد الـدينَ الحنيف بعصبة مُتـمَسِّكـينَ بسُنـة وكتـاب
لا يأخـذون برأيهم وقيـاسهم ولهم إلى الـوحْيَـين خير مآب
قد أخبـر المختـار عنهم أنهم غُربـاءُ بين الأهلِ والأصحاب
سلكو طريق السالكين إلى الهُدى ومشَـوْا على مِنهاجهم بصَواب
مِن أجـل ذا أهلُ الغُلُوِّ تنافروا عنهم فقلنـا ليس ذا بعُجـاب
نفـرَ الذين دعاهم خيرُ الورى إذ لَقّبـوه بسـاحـرٍ كذاب
معَ عِلمهم بأمـانـةٍ وديـانـةٍ فيـه ومَكـرُمة ، وصِدق جواب
صلى عليـه الله ما هبَّ الصَّبا وعـلى جميـع الآلِ والأصحاب

الشيخ مُلا عُمران

